التنبيه على السلوكيات المذمومة في سورة الماعون وبيان آثارها على الفرد والمجتمع

Alerting to reprehensible behaviors in Surah Al-Ma'un and explaining their effects on the individual and society

إعداد

شيخ أبو بكر سيسي الغامبي

Sheikh Abu Bakr Cisse El-Gambia

الدارس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية، قسم التفسير وعلوم القرآن

Doi: 10.21608/jasis.2024.335931

استلام البحث ١١ / ١١ /٢٠٢٣

قبول البحث ٢٤ / ١١ /٢٠٢٣

الغامبي، شيخ أبو بكر سيسي (٢٠٢٤). التنبيه على السلوكيات المذمومة في سورة الماعون وبيان آثارها على الفرد والمجتمع. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨(٢٦)، يناير ١٧٥- ٢٢٢.

http://jasis.journals.ekb.eg

التنبيه على السلوكيات المذمومة في سورة الماعون وبيان آثارها على الفرد والمجتمع

المستخلص:

هذا البحث يتعلق بدراسة السلوكيات السيئة التي ورد التحذير منها في سورة الماعون، وبيان آثارها على الفرد، والمجتمع، وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد، وفصلين، وخاتمة، ففي التمهيد تحدثت عن وحدة الموضوعية للسورة، وحاولت فيه الربط بين مواضع السورة بأسلوب مختصر.

الفصل الأول: السلوكيات السيئة تجاه حقوق الله تعالى، وفيه: أولا: سلوك التكذيب بالحساب والجزاء يوم القيامة، وثانيا: سلوك الرياء، تحدثت فيه عن مفهوم الرياء، ومجالاته ومظاهره، وآثاره على الفرد والمجتمع. وثالثا: سلوك السهو عن الصلاة، والتهاون بها.

الفصل الثاني: السلوكيات السيئة تجاه حقوق الناس، وفيه، أولاً: سلوك ظلم اليتيم، ودفعه عن حقه، وثانيا: سلوك منع المسكين من حقه في الإطعام، وعدم الحث على ذلك. وثالثا: سلوك منع الناس الماعون [العارية].

وقد التزمت في بداية كل مبحث، أن أبين المعنى الإجمالي للجزء الذي يتحدث عن ذلك السلوك من السورة، مبيناً وجه دلالة الآية عليه، مركزا في المعنى المذكور على الفوائد العلمية.

وأما الخاتمة ففيها أبرز النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: السلوكيات – السيئة – اليتيم – سلوك -سورة الماعون.

Abstract:

This research is concerned with the study of bad behaviors that have been warned against in Surat Al-Maʿūn, and its effects on the individual and society. The research has been divided into a preface, two chapters, and a conclusion. In the preface, I talked about the objective unit of the surah, and tried to link the places of the surah in a brief manner.

The first chapter: bad behaviors towards the rights of Allāh the Almighty, it included: first: the behavior of denying the reckoning and punishment on the Day of Resurrection. Second: the behavior of showing off, I talked about the concept of hypocrisy, its fields and manifestations, and its effects on the individual and society. Third: Behavior of neglecting prayer, and underestimating it.

The second chapter: bad behaviors towards people's rights, it included, first: the behavior of oppressing the orphan, and depriving him from his right. Second: the behavior of preventing the poor from his right of feeding, and not urging him to do so. Third: the behavior of withholding [simple] assistance.

At the beginning of each topic, I committed myself to explaining the overall meaning of the part of the surah that talks about that behavior, showing the aspect of the verse's indication of it, focusing on the meaning mentioned on the scientific benefits.

As for the conclusion, it included the most important findings and recommendations of the study.

Keywords: behaviors - bad - orphan - behavior - Surat Al-Maʿūn.

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد شرَّف الله هذه الأمة، ورفع مكانتها، وأنعم عليها، بأن أنزال عليها أشرف الكتب وأجلها، وجعله مصدر عزها وهدايتها، ومنبع علومها النافعة؛ فندبها على تدبره، وتعقله وتفهمه، وتعلمه وتعليمه، والانتفاع بفوائده الدنيوية، والأخروية، والدعوة إليه. وإن من أعظم مقاصد القرآن الكريم وأغراضه النفيسة، وفوائده الجليلة إصلاح الفرد، والمجتمع، بإرشادهم إلى محاسن الأخلاق ومعاليها، وتنبيهم على مساوي الأخلاق وسفاسفها ببيان خطورتها وعواقبها الوخيمة، لتستقيم أخلاقهم، وتتزكى نفوسهم. من هنا جاءت هذه الدراسة وهذا البحث في هذه السورة لإبراز أقبح الأخلاق، والسلوكيات، التي جاءت هذه السورة للتنبيه عليها، والتحذير منها؛ ليتجنبها كل إنسان يريد النجاة في الدارين.

أهمية الموضع:

- يظهر أهمية هذا الموضوع بالنظر إلى مضامين السورة، وأهدافها العظيمة، فإن الاهتمام فيها منصب على الذم، والتنفير عما يهدم العقيد، والإيمان من أساسه، وما يخالف ويجانب فضائل الأخلاق، ومحاسن التعامل الاجتماعي.

- النظر إلى خطورة السلوكيات، والأخلاق التي تكلم عنها السورة وآثارها على الأفراد، والمجتمعات -التي هي موضوعات هذا البحث-.
-تعلقه بكتاب الله تعالى الذي هو أشرف الكتب المنزلة، وأنفعها، فشرف الشيء بشرف مُتعلَّقه، وتدبر القرآن والانتفاع بفوائده الدنيوية، والأخروية نعمة، وفضل من الله تعالى، ودراسة مواضعه واستخراج دلالته والعمل بها، ودعوة الناس إليها عبادة، كما أن تلاوته ومدارسته عبادة.

سبب اختيار الموضع:

-محاولة ربط الناس بالهدايات والإرشادات، التي وردت في الوحي المبين الذي جعله الله هدىً ونوراً يهتدى به في كل عصر وزمان؛ لحاجتهم إلى ما تضمنه من التشريعات الحكيمة والتوجهات الرشيدة، خصوصا في هذا العصر الذي كثر فيه أمور غيرت أخلاق الناس، وسلوكهم.
-انتشار السلوكيات القبيحة التي جاءت السورة لذمها والتنفير عنها، خصوصا في المجتمعات البعيدة عن تعليمات الدين الحنيف، فاتصف بها كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام، إما بكلها، أو ببعضها، فكان جديراً تنبيه الناس على خطورتها، وبيان عاقبتها الوخيمة على الأفراد والمجتمعات.
-تساهل بعض من ينتسب إلى الإسلام ببعض هذه السلوكيات السيئة جهلاً بالدين، وغفلة عن الأضرار المترتبة على ذلك.
-الآثار السيئة، والسلبيات الدنيوية والأخروية، التي يخلفها هذه السلوكيات، والفساد العظيم الذي يترتب على انتشارها في المجتمع.
-انتشار المغريات والملهيات التي توقع الناس في بعض هذه السلوكيات كالتهاون بالصلاة الذي كثر الوقوع فيه في هذا العصر خصوصاً عند الشباب.
-عظم حاجة الفرد والمجتمع إلى التذكير بهذه السلوكيات، والتنبيه على خطورتها وضررها، ليتجنبها الناس، وينفروا منها.
لهذه الأسباب وغيرها عزمت على الكلام عن هذا الموضوع، لتسليط الضوء عليه، فجاء هذا البحث المصغر لذلك الغرض، وذلك من خلال دراسة منهجية وموضوعية لهذه السورة التي تضمنت على تلك السلوكيات والصفات.

منهجية البحث:

سأتناول في هذا البحث الصغير الموضوعات التي عالجها السورة، وهي التنبيه على بعض السلوكيات السيئة التي ذم الله بها أهل الكفر، والنفاق، وبيان خطرها على الفرد والمجتمع.
وذلك وفق منهجية علمية تتمثل في الأمور التالية:
- التقديم بمقدمة عن الوحدة الموضوعية للسورة، وحاولت فيه الجمع بين المواضيع التي تناولتها بأسلوب مختصر، وسهل على حسب جهدي.

-تقسيم السلوكيات الواردة في السورة على مباحث، وترتيبها ترتيباً منهجيا، وفي نهاية كل مبحث، أبين بعض آثار السلوك الذي تناوله المبحث على الفرد والمجتمع.
- وفي بداية الكلام عن كل سلوك، أقوم ببيان المعنى الإجمالي للجزء الذي يتحدث عن ذلك السلوك من السورة، مبيناً وجه دلالة الآية عليه، مركزا في المعنى المذكور على الفوائد العلمية.
-الاعتماد فيما أذكره من المعاني والفوائد على بعض كتب التفسير، وبعض الكتب الأخرى التي تخدم الموضوعات التي عالجتها السورة.
- الاستشهاد بالآيات، والأحاديث والآثار التي لها تعلق بالموضوع الذي أتكلم عنه، في السورة.
- الاكتفاء في الاستشهاد بما صح من الأحاديث، سواء ما اتفق أهل الحديث على صحته، أو صححه بعضهم، وعدم الاستشهاد بما اتفقوا على ضعفه.
- عزو الآيات المستشهد بها بذكر السورة ورقم الآية في داخل النص.
- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها المعتمدة، مع بيان حكمها إن وقفت عليه، من كلام أهل الشأن، وإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما.
- الاستشهاد بأقوال أهل العلم، مع عزو أقوالهم إلى كتبهم إن وجدت، وإلا فإلى المصادر التي نقلتها.
- الاختصار، وعدم التطويل، والخوض في ذكر الأقوال، والخلافات التي لا تخدم الموضوع.

التمهيد: الوحدة الموضوعية للسورة

هذه السورة مكية في بعض الروايات، ومكية مدنية في بعضها (الثلاث الآيات الأولى مكية، والباقيات مدنية)[1] وهي تضمنت وحدة موضوعية تتعلق بمسألة مهمة للمجتمعات الاسلامية، وهي تقرير حقيقة كلية من حقائق هذه العقيدة، وذم السلوكيات، والأخلاق الرذيلة السيئة، والتحذير منها، التي يتصف بها أصحاب العقيدة الفاسدة من أهل الكفر، والنفاق الناتجة من تكذيبهم بالحساب، والجزاء، وفي ذلك الإرشاد إلى تحقيق الإيمان بهذا الأمر العظيم، الذي يقود المرء إلى مكارم الأخلاق، المضادة لتلك السلوكيات السيئة التي يتصف بها هؤلاء المنكرون المكذبون.

قال صاحب الظلال: "فإن هذه السورة الصغيرة ذات الآيات السبع القصيرة تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا، فوق ما تطلع به على النفس من حقيقة باهرة لطبيعة هذه العقيدة، وللخير الهائل العظيم المكنون فيها لهذه البشرية، وللرحمة السابغة التي أرادها الله للبشر، وهو يبعث إليهم بهذه الرسالة

(١) وكلاهما منقول عن ابن عباس -رضي الله نهما-، والأول قول الأكثر، والثاني هو الأظهر في دلالة السورة، ينظر: الوسيط للواحدي (٤/ ٥٥٨)، وزاد المسير (٤/ ٤٩٥)، ودرج الدرر (٤/ ١٧٦٧)، وفتح القدير (٥/ ٦١١)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٥٦٣).

الأخيرة، إن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد، مؤدية بسبب هذا الإخلاص إلى آثار في القلب تدفع إلى العمل الصالح، وتتمثل في سلوك تصلح به حياة الناس في هذه الأرض وترقى، كذلك ليس هذا الدين أجزاء وتفاريق موزعة منفصلة، يؤدي منها الإنسان ما يشاء، ويدع منها ما يشاء، إنما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته، وشعائره، وتكاليفه الفردية والاجتماعية، حيث تنتهي كلها إلى غاية تعود كلها على البشر.. غاية تتطهر معها القلوب، وتصلح الحياة، ويتعاون الناس ويتكافلون في الخير والصلاح والنماء، وتتمثل فيها رحمة الله السابغة بالعباد"(٢).

-التركيز في السورة واضح في ذم الطائفتين – أهل الكفر والنفاق-، ولما كان التكذيب بالحساب والجزاء سلوكاً وخلقاً، مشتركا بين الطائفتين، وآثاره عندهما واحدة، استفتحت السورة بالحديث عنه، ثم الحديث عن الآثار التي تترتب عليه في سلوك الفريقين، ففي مطلعها تحدثت في ذم الكافر المكذب بالحساب والجزاء، وبيان بعض الصفات، والسلوكيات التي يدفعه إليها إنكاره للحساب والجزاء يوم القيامة، من الجفاء، والاعتداء على اليتيم الضعيف، وظلمه، ودفعه عن حقه، والبخل الشديد بعدم الحض، والحث على إطعام المسكين المحتاج، وفي خاتمتها تحدثت في ذم المنافقين الذين أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، وبين بعض صفاتهم التي دفعهم إليها نفاقهم، وعدم إيمانهم بالحساب والجزاء، من تضييع الصلاة والتهاون بها التي هي أهم قواعد الإسلام، ومراءاة الناس بأعمالهم، ومنعهم المعروف، والماعون الذي يستعان به بين الناس، لأنهم لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون من عقابه؛ لعدم إيمانهم بالحساب والجزاء.

-التنبيه على آثار التكذيب بالحساب والجزاء، في السلوكيات المكذب، فإنه يجرِّئَ المكذب على مساوئ الأخلاق، والمنكرات، فهو الدافع للمرء على جميع الأخلاق، والسلوكيات القبيحة، من الظلم، والبخل، والتهاون بطاعة الله، وعبادته، والرياء، ومنع المعروف عن الغير، وغير ذلك.

وهذه السلوكيات والأوصاف الرذيلة، وإن كانت واضحة في هاتين الطائفتين، اللتين جاءت السورة في ذمهم، وبيان صفاتهم، والتنفير من سلوكياتهم، وأخلاقهم القبيحة، إلا أنه لا تقتصر عليهم، بل عام لكل من اتصف بتلك الصفات، والسلوكيات، وإن كان ممن ينتسب إلى الإسلام، لأنه قد توجد هذه الصفات في بعض المسلمين؛ فتراه ظالماً لليتيم، مؤذيا له، أو مضيعاً للصلاة، أو مانعاً للمعروف، لا يطعم المسكين مع القدرة عليه، ولا يحث غيره على ذلك بل قد يصده عنه، وتراه يمنع الناس الماعون من غير ضرورة، ويرائي بعمله، فحينئذ يلحقه هذا الذم والتوبيخ بقدر ما فيه من هذه الصفات والأخلاق الذميمة.

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٨٤).

الفصل الأول: السلوكيات المذمومة في حق الله تعالى.

المبحث الأول: التكذيب بالحساب والجزاء يوم القيامة

فإن أوجب حقوق الله تعالى على العباد الإيمان به إيمانا جازما، وتصديقه في وعده، ووعيده، وما أخبر به من المغيبات، كالبعث والنشور، والحساب والجزاء؛ وإذا كان كذلك فالتكذيب بالحساب والجزاء يوم القيامة، يعد سلوكاً سيئاً، وخصلة ذميمة اتجاه الخالق المدبر القادر على كل شيء، وقد ذم الله تعالى في مطلع السورة صاحب هذا السلوك، وبين قبح سلوكه، وشناعته وخطورته، فقال تعالى: **{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ }** [الماعون: ١-٢]، أي: أخبرني هل عرفت الذي يكذّب بالحساب والجزاء، وينكر الثواب والعقاب يوم القيامة؟، إن لم تكن عرفته فذلك الذي يتصف بتلك الصفات الذميمة، والأخلاق الرذيلة، من دع اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين...، فالاستفهام أريد به التفات الأنظار، والعقول إلى هذا المكذب، والتشويق السامع لمعرفة حاله، وما أورثه التكذيب من سوء الصنيع، وحمله عليه من السلوكيات القبيحة الشنيعة، وأن مما يجب على المؤمن أن يعرفه على حقيقته، حتى يبتعد عنه، ويحترز منه، ومن أفعاله، وصفاته؛ لذا عرفه، ووصفه ببعض السلوكيات التي يدفعه إليها تكذيبه بالحساب والجزاء، وهذا يفيد تشويه إنكار الحساب والجزاء بما ينشأ عن إنكاره من المذام، والسلوكيات السيئة، [٣]، كما أشار الله تعالى إلى ذلك في موضع آخر فقال: **{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}** [الانفطار: ٦]، حتى قال **{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}** [الانفطار: ٦ - ١٠]، أي: ليس الأمر كما تقولون، إنما يحملكم على الكفر بالرب الكريم، وارتكاب المعاصي، تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب، والثواب والعقاب.[٤]

المطلب الأول: مفهوم التكذيب بالحساب والجزاء يوم القيامة

والتكذيب في اللغة تدور حول معاني: الانكار والجحود، والشك، والارتياب في الشيء، يقال: أكذبت فلاناً وجدته كاذبا، أو إذا أخبرت بأن الذي حدث كذب، وكذبته تكذيبا نسبته إلى الكذب، أو قلت له كذبت. [٥]

والحساب والجزاء: المؤاخذة، والمجازاة، والمُكَافَأَةُ على الشيء، وهو في الحقيقة ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه، إما يكون ثواباً، أو عقابا، ليس فيها زيادة على المقدار، ولا نقصان[٦].

---

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٦٥)، والتفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٦٨٤).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٢٧٠ -٢٧١)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٤)

(٥) المصباح المنير (كذب) (٢/ ٥٢٨)، ومقاييس اللغة (كذب) (٥/ ١٦٧-١٦٨)

(٦) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٨٧)، وتهذيب اللغة (١١/ ٩٨)، والمفردات (ص: ٢٣٢، و١٩٥-١٨٠)، والقاموس المحيط (ص: ١٢٧٠)، وتاج العروس (٣٧/ ٣٥١-٣٥٢)، ومقاييس اللغة [حسب] (٢/ ٥٨-٦٠).

والتكذيب بالحساب والجزاء يوم القيامة: هو الانكار والجحود، والشك، وعدم الاعتقاد، والتصديق الجازم بأن هناك يوم يبعث الله فيه العباد بعد موتهم، ويحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم، وأن كلّ إنسانٍ سيحاسَبُ يوم القيامة على عملهِ في الدنيا، ثم يوفَّى حسابَهُ، خيراً كان العمل، أو شراً، فالتكذيب بهذا الأمر المحقق الوقوع كفر بالله تعالى، وتكذيب له، ولرسوله – ﷺ-؛ لأن الله تعالى أخبر عن وقوع هذا الأمر في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، وفي سنة رسوله -ﷺ-، فكان الواجب المحتم على كل عبد، وإنسان أن يؤمن به، ويصدقه تصديقاً جازماً.

والحساب والجزاء يوم القيامة عام للمسلم، والكافر؛ لإقامة الحجة، وإظهار العدل؛ ولأن العباد يتفاوتون في الإيمان، والكفر، والجنة درجات، والنار دركات، وكل لها أصحاب[٧] قال تعالى **{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}** [الأنعام: ١٣٢]، وقال تعالى **{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** [الأحقاف: ١٩]، فدلت الآيتان على أن لكل عامل في طاعة الله، أو معصيته، منازل، ومراتب عند الله يوم القيامة، من عملهم الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن، وسيء يجازيهم الله به، كل بحسب عمله الذي عمله في الدنيا.[٨] فلا يتأتى ذلك إلا بحساب وجزاء.

المطلب الثاني: أدلة القرآن في تقرير الحساب والجزاء يوم القيامة

والحساب والجزاء يوم القيامة مشهد عظيم، وخطب جليل، وأمر لا يشك فيه إلا معاند متكبر كافر، ومجرم عاص لربه، وإلا فهو أمر مقرر بالكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، وتدل عليه الواقع، والعقل السليم، والفطر المستقيم، وقد كثرت في القرآن الكريم الأدلة الدالة على وقوع البعث والحساب والجزاء على الأعمال، وتنوعت أساليبه في الإخبار بهذا الأمر العظيم، منها:

-الإخبار بأنه مالك يوم الحساب والجزاء، وأنه المحاسب والمجازي للعباد على الأعمال، دون غيره، كقوله تعالى: **{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}**، [الفاتحة: ٤] أي: مالك يوم الحساب، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها. وقوله تعال: **{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}** [الغاشية: ٢٥-٢٦] فأخبر أنه هو المحاسب لمن كفر، وتولى عن الإيمان، والمجازي والمعاقب له على كفره وعصيانه، وأن الذي على النبي – صلى الله عليه وسلم-هو التذكير، وتبليغ الرسالة فقط.

-الإخبار عن عدله وفضله في الحساب والجزاء، وعدم ظلمه لأحد، كقول تعالى: **{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}** [سورة الأنعام: ١٦٠]، وقوله تعالى: **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }**

---

(٧) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١٩١).

(٨) جامع البيان (١٢/ ١٢٥)، و(٢٢/ ١١٩).

[الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: **{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** [غافر: ١٧]. وقال تعالى: **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** [البقرة: ٢٨١]. فبين سبحانه في هذه الآيات الكريمات عدله، وفضله في الحساب والجزاء، حيث أخبر أنه يجازي في موقف الحساب يوم القيامة المحسنَ بالإحسان، والمسيء بالإساءة، من غير ظلم لأحد منهما شيئاً، بأن يعاقب المسيء بذنب لم يعمله، أو يبخس المحسن ثواب عمل عمله، بل يجازي المحسنَ على إحسانه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه، تفضلا ًمنه سبحانه، ولا يجازى المسيء على إساءته، إلا ما يستحقه عليها من غير إضعافه عليه.(٩)

-إخباره -سبحانه- عن إحاطة علمه بالضالين، والمهتدين، وأنه يجازي كلا الفريقين بعمله، كما في قوله تعالى: **{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى }** [النجم: ٣٠- ٣١]، أخبر الله تعالى في الآيتين بأنه سبحانه أعلم بمن ضال عن الصراط المستقيم، ومن اهتدى إليه، وأنه يجازي الضال المسيء بإساءته، والمهتدي المحسن بإحسانه، وقوله: **{ولله ما السموات وما في الأرض}** إخبارٌ عن قدرته، وسعة ملكه، وأنه يَقْدِر على مُجازاة الفريقين؛ لأنه إذا كان أعلم بالمسيء، وبالمحسن، جازى كُلاًّ بما يستحقُّه، وإنما يقدر على مجازاة الفريقين إذا كان ذو قدرة، واسع الملك، وغني عما سواه.(١٠)

وفي هذا دليل على وقوع الحساب، والجزاء، فهي تدل بمنطوقها على الجزاء، وبمفهومها على الحساب، لتوقف الجزاء عليه.

-أمره لنبيّه – ﷺ- أن يقسم للكافرين على وقوع البعث، والحساب والجزاء، رداً عليهم، وتكذيباً لزعمهم الباطل، كما في قوله تعالى: **{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** [التغابن: ٧]، أي: ادَّعى الذين كفروا، وزعموا زعماً باطلاً -افتراء، وكذبا، بلا برهان-، أن لن يخرجوا من قبورهم بعد الموت أحياء، ويعادوا للحساب والجزاء يوم القيامة، ثم كذّب الله سبحانه هذا الزعم الباطل، والادعاء الكاذب الفارغ، قائلا لنبيه- ﷺ- قل لهم يا رسولي بلى أقسم بالذي خلقني لتُخْرَجُنَّ من قبوركم أحياء، ثم لتخبرن بالذي عملتم في الدنيا، وتلقون الجزاء عليه، أي: ليس الأمر مجرد بعث ونشور، وإنما وراء هذا البعث والنشور، حساب، وجزاء، على كل أعمالكم، وذلك سهلٌ هينٌ على الله، لا يحتاج إلى جهد، ونصب.

---

(٩) جامع البيان للطبري (١٨/ ٤٥١)، والتفسير الميسر (١/ ٣٢٦).

(١٠) زاد المسير في علم التفسير (٤/١٨٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٠)، وصفوة التفاسير (٣/٢٥٨).

وفي هذا دليل واضح على وقوع البعث، والحساب، والجزاء، وقد أمر الله فيها نبيه ﷺ أن يقسم للمشركين بربه جل وعلا- كما تقدم- وليس بعد قسم النبي ﷺ بربه توكيد.

-إخباره عن كيفية الحساب، ونوعيه، ومن ذلك إخباره عن سرعة حسابه في مواضع عديدة، كقوله تعالى: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} وقوله تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [غافر: ١٧]، أي: يحاسب الخلائق كلّهم، كما يحاسب نفسا واحدةً، في لمح البصر.[١١] ومنها وصف حساب عباده الصالحين بأنه **حساب يسير سهل**، كما في قوله تعالى: {**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**} [الانشقاق: ٧، ٨]، أي: حساباً سهلاً لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله، وإنما يعرض عليه الأعمال، فيعرفه، ويقرره بذنوبه، ثم يغفر له، ولا يعاقبه عليها، ويجازى على حسناته،[١٢] فعن عائشة -رضي الله عنها-، قالت: كان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حساباً يسيراً**» فقالت عائشة رضي الله عنها: وما الحساب اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه**».[١٣]. وأخبر عن حساب الكافرين بأنه **حساب عسير**، كما في قوله تعالى- إشارة إلى الكافرين المعرضين عن الإيمان-: {**أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**} [الرعد: ١٨]، وقال في وصف أهل الإيمان المصدقين بالحساب والجزاء، والخافين من سوء الحساب: {**وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**} [الرعد: ٢١]، وهو المناقشة في الحساب، واستقصاء عمل العبد عليه، وألا يقع له في حسابه من التجاوز شيء، وقيل: أن لا تُقبل منه حسنة، ولا يُتجاوز له عن سيئة، فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة[١٤]، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة، عذب**» فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: {**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**} [الانشقاق: ٨]؟ فقال: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**»، وفي رواية: «**ذاك العرض، ولكن من نوقش الحساب هلك**»[١٥]،

وهذه بعض من الأدلة الكثيرة الدالة على وقوع الحساب والجزاء يوم القيامة، وفيما ذكر كفاية.

---

(١١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٦).

(١٢) جامع البيان (٢٤/ ٣١٣)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٦).

(١٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠/ ٢٦٠)، رقم: (٢٤٢١٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٨٥)، رقم: (٩٣٦)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(١٤) المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٨)، وزاد المسير (٢/ ٤٩٢).

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٢)، رقم: (١٠٣)، و(٨/ ١١١)، رقم: (٦٥٣٦)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٠٤-٢٢٠٥)، رقم: (٢٨٧٦)، ولفظ الروايتين له.

المطلب الثالث: المكذبون بالحساب والجزاء يوم القيامة، ودوافعهم

رغم وضوح الأدلة، والآيات لكل ذي قلب ولب، على أن الله سيبعث الناس بعد موتهم يوم القيامة، ويحاسبهم، ويجازهم على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا أنه يوجد كثير من الناس لا يؤمنون بذلك، بل يكذبونه إما بلسان المقال، والحال، أو بلسان الحال فقط.

أما المكذبون بلسان المقال، والحال، فهم الكفار المعلنون لكفرهم، وعنادهم، وتكذيبهم بالحساب والجزاء، وكذا المنافقون الذي يبطنون الكفر، والتكذيب، ويظهر الإيمان والتصديق بلسانهم، وهم في الحقيقة مكذبون بالحساب والجزاء بلسان المقال، والحال، وهؤلاء هم الذين نزلت السورة في ذمهم، وبيان بعض صفاتهم الشنيعة التي جرأهم عليها تكذيبهم بالحساب والجزاء، الذين يقول قائلهم لقرينه المؤمن، ما حكى الله تعالى في قوله: {**يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ**} [الصافات: ٥٣]، أي: يقول: أتصدِّق أننا لمبعوثون ومحاسبون ومجزيون بأعمالنا، أإذا متنا، وصرنا ترابًا، وعظامًا بالية، هل سنُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا بعد ما صرنا إلى هذه المرحلة؟، يقول ذلك على وجه التعجب، والتكذيب والاستبعاد.

ومن دوافع هؤلاء على التكذيب بالحساب والجزاء ما يأتي:

-الاعتداء، والظلم، وتجاوز الحد في الكفر، والمعاصي.

فإن من دوافع المكذبين بالحساب والجزاء، الطغيان، والبغي والانغماس في الشرور، والآثام، والمعاصي، كما قال الله تعالى عنهم: {**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**} [المطففين: ١٠ -١٣]، أي: ما يكذب بيوم الحساب والجزاء إلا كل عنيد متجاوز الحد في الكفر، والضلال، مبالغ في العصيان، والطغيان، كثير الآثام. فدل الآية على أن منشأ تكذيبهم بهذا اليوم، هو كثرة الاعتداء، وتجاوز الحدود، وارتكاب الآثام والشرو؛ ولذا قال تعالى: {**وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**}، وتأويل ذلك أن النفس التي اعتادت الظلم، والطغيان، والبغي والاسترسال في الشرور، والآثام يصعب عليها جدا الإذعان لأخبار الآخرة، والتصديق بها، فيهون على نفسه جامحة طامحة بالتغافل، والتكذيب بيوم القيامة. [١٦]

- الخوف والهروب من تصور الحساب والجزاء لما هم عليه من الفجور والإجرام.

فإن من الدوافع لأهل الكفر إلى تكذيب يوم الحساب والجزاء: الخوف الكامن وراء تصورهم بأنهم بعد البعث محاسبون ومجازون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، لما هم عليه من الجرائم، والشنائع فكلما سمعوا أمر الحساب، والجزاء رفضوا تصديقه، واستبعدوه؛ ليستمروا على فجورهم، وقبائحهم، وشهواتهم، ومما يدل على ذلك قوله

(١٦) التفسير الواضح (٣/ ٨٣٧-٨٣٨).

تعالى: **{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ}** [القيامة: ٥، ٦] ، أي: يريد الإنسان الكافر، أن يكذب بما أمامه من البعث والحساب، والجزاء، ويواصل فجوره ويمضي أمامه قُدُما في معاصي الله، لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب من ذنوبه، ومعاصيه؛ لذا يسأل عن يوم القيامة، يقول متى يكون يوم القيامة؟ استبعاد واستنكاراً لوقوعه، وتكذيب لوجوده.[١٧]

وأما المكذبون بلسان الحال فقط، هم المصرون على المعاصي، والذنوب، والمرتكبون للكبائر، من أهل الإسلام، وهؤلاء وإن انتسبوا إلى الإسلام، ودعوا أنهم مؤمنون بالحساب والجزاء يوم القيامة، إلا أنهم مكذبون به، بلسان حالهم؛ لأنهم لو كانوا يؤمنون به حقاً، لما كان حالهم كذلك؛ لذا قال الله تعالى منكراً على المطففين الذين ينقصون الناس حقوقهم في مكاييلهم، أو موازينهم، متعجباً من فعلهم ذلك: **{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }** [المطففين: ٥، ٦]، فدل الآية على أن الدافع لهم إلى هذا الفعل الشنيع، هو عدم اعتقادهم اعتقاداً جازماً بأنهم يبعثون ويحاسبون أمام رب العالمين، ويجازون على أعمالهم، إذ لو اعتقدوا حقا أن الله يبعث خلقه ويحاسبهم، ويجازيهم على أعمالهم، لما أقدموا على الأعمال الشنيعة، ولتركوا التطفيف في المكيال والميزان، ثم ذكر تعالى مآل الفجار، ومآل الأبرار، ليرتدع هؤلاء المطففون عن الغفلة عن البعث والجزاء، فقال **{كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفجار لَفِي سِجِّينٍ}**.[١٨]

ومن دوافع هؤلاء على التكذيب بلسان حالهم:

- ضعف التقوى، والخشية، من الله تعالى، ونقص الإيمان واليقين.

فإن مما يدفع هؤلاء إلى تكذيب الحساب والجزاء بلسان حالهم بإصرارهم على المعاصي، والذنوب، وارتكابهم الكبائر، هو ضعف التقوى، والخشية، من الله تعالى، وعدم كمال الإيمان بالله تعالى، واليقين بهذا اليوم العظيم، والمشهد المخيف؛ إذ لو كان تقواهم، وخشيتهم من الله قوياً، وإيمانهم به كاملا، موقنين بأن أمامهم حساب وجزاء، وعقاب، وثواب على ما يقترفونه من الذنوب والمعاصي، لجذبهم ذلك، وزجرهم، عن ارتكاب ما يرتكبونه من الفواحش، والكبائر، وعن الاصرار على فعل المنكرات، ولأسرعوا إلى التوبة، والإنابة عند الزلل، والوقوع في المعاصي؛ لذا قال- ﷺ-: **«لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ**

---

(١٧) جامع البيان (٢٤/ ٥٢-٥٤)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٦-٢٧٧).
(١٨) صفوة التفاسير (٣/ ٥٠٧)، والتفسير الميسر (١/ ٥٨٨)، والتفسير الواضح (٣/ ٨٣٧).

إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[19] ومعناه: لا يفعل هذه المعاصي، وهو كامل الإيمان، ولو كان كامل الإيمان لما أقدم على الأفعال الشنيعة.

فالمؤمن الكامل قوى الإيمان كالجسم الصحيح إذا دخلته جراثيم المرض ما تمكث فيه بل تموت من فورها، كذلك المؤمن، إذا دخلت فيه وساوس الشيطان، وإن أوقعته في الزلل والمعاصي، إلا أنها سرعان ما تموت، فلا تقدر على العيش، والبقاء فيه، بخلاف المؤمن الضعيف، ضعيف الإيمان واليقين؛ لذا قال الله تعالى عن المتقين، من أهل عبادته، وطاعته: {**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ**} [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢]، وقال تعالى: {**الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} [آل عمران: ١٣٥]، أي: أنهم إذا ألمَّ بهم لَمَمٌ من الشيطان، أو ارتكبوا ذنباً قبيحاً، أو ظلموا أنفسهم بفعل ما نهى الله عنه، تذكروا عقاب الله، وثوابه، ووعده، ووعيده، والوقوف بين يديه للحساب، فإذا هم صحوا مما كانوا فيه، وأبصروا الحق، فتابوا وأنابوا إلى الله، ولا يصرون، ويستمرون على أخطائهم، ومعاصيهم، وأعمالهم القبيحة.[20]

- اتباع الهوى والشهوات، والنفس الأمارة بالسوء، والشيطان.

فاتباع الهوى والشهوات، والنفس الأمارة بالسوء، من أسباب الضلال، ونسيان يوم الحساب والجزاء، والانغماس في المعاصي والذنوب ، قال الله تعالى لنبيه- داود عليه سلام-:{**يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**} [ص: ٢٦]، فدل الآية على أن اتباع الهوى يضل المرء عن دين الله القويم، ويجعله ينسى يوم الحساب، والجزاء، فلا يبالي بما يفعله من المعاصي والضلالات؛ لذا قال: {**إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**} أي: إن الذين ينحرفون عن دين الله، ويضلون عن سبيله المستقيم، لهم عذاب شديد يوم القيامة بعدم إيمانهم بيوم الحساب، والجزاء؛ لأنهم لو آمنوا به لأعدوا الزاد ليوم المعاد، بطاعة الله وعبادته، واجتناب المعاصي والمحرمات.[21] وقال تعالى إشارة إلى خطورة اتباع النفس: {**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**} [يوسف: ٥٣]، أي: إن النفس لأمارة بالأفعال القبيحة، وما لا يحبُّ الله، إلا من عصمه الله تعالى، فالنفس الأمارة لا تدعو إلى الخير، ولا تأمر إلا بسوء، والأخلاق السيئة، والأعمال القبيحة، والأقوال

([19]) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٥٧)، رقم: (٦٧٧٢)، ومسلم في صحيحه (١/ ٧٦)، رقم: (٥٧).

([20]) جامع البيان (١٣/ ٣٣٣-٣٣٤)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٤)، وصفوة التفاسير (١/ ٢١٠).

([21]) صفوة التفاسير (٣/ ٥٠)، والتفسير الواضح (٣/ ٢٣٧).

الشنيعة.[٢٢]، وقال تعالى مخبراً عن الشيطان وعداوته للعبد، ودعوته له إلى كل فعل وقول قبيح، بنسيانه الحساب والجزاء، فقال: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}** [فاطر: ٦]، أي: إن الشيطان لكم أيها الناس عدوٌّ لدود، فعادوه كما عاداكم، وكونوا على حذرٍ منه، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه إنما يدعو حزبه، وأولياؤه، وأطباعه إلى الأعمال التي تدخلهم وتقذفهم في نار جهنم. [٢٣]-عصمنا الله من كيده وغروره-، وغير ذلك من الدوافع والأسباب.

المطلب الرابع: آثار التكذيب بالحساب والجزاء يوم القيامة على الفرد والمجتمع.

للتكذيب بالحساب والجزاء آثار سيئة على الأفراد، والمجتمعات، ومن تلك الآثار ما يأتي:

-كفر صاحبه، وحبوط عمله -ولعياذ بالله.

فالذي يكذب بالحساب والجزاء يوم القيامة، فهو مكذب لله تعالى؛ ومكذب لرسوله ﷺ؛ فيحكم بكفره، وضلاله، قَال تَعَالَى عن المنكرين بالحساب والجزاء: **{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا}**. فوصفهم بالكفر، وقال تعالى عن حبوط عملهم: **{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الأعراف: ١٤٧]، أي: والذين جحدوا بما أنزل الله من الآيات والحجج، وأنكروا لقاء الله في الآخرة، ولم يؤمنوا بالبعث بعد الموت، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، بطلت أعمالهم الخيرية التي عملوها في الدنيا، وذهب ثوابها لعدم إيمانهم بآيات الله، وتكذيبهم بلقاء الله، وأنه سيبعثهم بعد الموت ويحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم. [٢٤]

- أن صاحبه متوعد بالويل والهلاك والخسارة، والعذاب الشديد.

وقد توعد الله المنكرين بيوم الحساب والجزاء، بالويل والهلاك والخسارة، والعذاب الشديد، فقال تعالى: **{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ}** [المطففين: ١٠، ١١]، وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}** [ص: ٢٦]، أي: بسبب تركهم الإيمان بيوم الحساب، وقال تعالى: **{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}** [الواقعة: ٩٢-٩٤]، أي: أما إن كان المتوفى من المكذبين بالبعث والحساب والجزاء، الضالين عن دين الله، وشرعه المستقيم، الذين ضاعوا في دروب الهوى، والمعاصي فجزاؤه أن يقدم له الماء المتناهي في الحرارة، وأن يصلى في جحيم. [٢٥]

- سبب للركون إلى الدنيا وملذاتها، والإعراض عن طاعة الله، وطلب دار الآخرة: فإن من آثار التكذيب بيوم الحساب والجزاء الإقبال على الدنيا، وزينتها، وملذاتها، والإعراض عن

---

(٢٢) التفسير الواضح (٢/ ١٨٥).
(٢٣) جامع البيان (٢٠/٤٣٩-٤٤٠).
(٢٤) التفسير الواضح (١/ ٧٦٤).
(٢٥) تفسير مقاتل (٤/ ٢٢٦)، ومعالم التنزيل (٥/ ٢٣)

طاعة الله، والدار الآخرة، فتجد صاحبه محباً للدنيا حباً شديداً جاعلاً الدنيا أكبر همه، وأعظم مطالبه، فلا يهتم بأمور الآخرة، لأنه لا يؤمن بأن الله سيحاسبه ويجازيه على أعماله، ولا يتيقن أن هناك ثواباً للمحسنين، وعقاباً للمسيئين.

-**أن التكذيب بيوم الحساب والجزاء، هو رئيس السلوكيات السيئة، وأم الخبائث، والشرور،** وهو أكبر الدوافع للمرء إلى كل عمل رذيل قبيح، وأكبر الأسباب لانتشار الرذائل والسيئة، التي تهدم الأفراد والمجتمعات؛ كالتي أشارت إليها السورة، وجعلها من نتائج التكذيب بهذا المشهد العظيم، للتحذير والتنفير منها، فعدم الإيمان بالحساب والجزاء سبب في انتشار الفواحش والمعاصي وكبائر الذنوب كالشرك بالله، والزنا والقتل والسرقة، والغش، والظلم، والرشوة، وتضييع الحقوق، وقطيعة الرحم، وعدم الوفاء بالعهد، والتكبر، والحسد، وتهاون بالصلاة، والبخل، وغير ذلك، فإن هذه الأمور، وغيرها من السلوكيات السيئة، تتنشر في المجتمع الذي لا يؤمن أهله بالحساب والجزاء حق الإيمان، وإن كانوا ينتسبون إلى الإسلام، لأنه لو كانوا يؤمنون حقاً، بأن الله سيحاسبهم، ويجازيهم على أعمالهم لما تجرئوا على المعاصي والذنوب، ولما تهاونوا في أداء حقوق الله، وحقوق عباده، ولما تركوا طاعة الله سبحانه.

كما أن الإيمان بالحساب والجزاء هو المنطلق لكل خير، ولكل الأعمال الصالحات، والمانع عن كل شر، فما يجعل الإنسان مستقيماً في سلوكه، إلا الإيمان بالحساب والجزاء يوم القيامة، فلولا الإيمان بهذه الحقيقة لما كان هناك حافز للاستقامة، وفعل الخير، ولا رادع عن الفساد في الأرض، ولولا الإيمان بها لقتل الناس بعضهم بعضاً ظلماً، واعتداء، ولهُضم حق الضعيف وانتشر الظلم، والفساد والشر المستطير في المجتمع، وصار الناس يعيشون كالبهائم، لا هدف لهم ولا غاية، يأكل القوي الضعيف، ولكن عندما يتيقن الناس بأن هناك يوم عظيم يجازى فيه كل إنسان بعمله، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وتجتمع فيه الخصوم، وتسترد الحقوق، ولا يظلم أحداً شيئاً، وتجد كل نفس ما عملت من خير وسوء محضراً، فسيكون ذلك دافعاً لهم على الاستقامة، بطاعة الله وعبادته، زاجراً ورادعاً لهم عن الظلم والاعتداء، والمعاصي، والاعراض عن طاعة الله وعبادته. قال تعالى عن الأبرار:{**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**} [الإنسان: ٧ - ١٠]، فأخبر سبحانه بأنهم استحقوا الكرامة، والنعيم المقيم، للوفاء بالنذر، الدال على قوة الإيمان بالله، وبما وعد به من الثواب والأجر، وخوفهم من موقف الحساب والجزاء، فهذا الخوف دفعهم إلى الأعمال الصالحات، الخالصة لله تعالى، وترك السيئات والفحشاء".[٢٦] قال ابن كثير: "أي: يتعبدون لله

---

(٢٦) التفسير الواضح (٣/ ٧٩٦)

فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد.."[٢٧]

لذا المجتمعات التي يؤمن أهلها بهذا اليوم العظيم، ويصدقون تصديقاً جزماً بأنهم سيقفون بين يدي خالقهم يوم القيامة يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فإنك تجد هذه المجتمعات مليئة بالخيرات، والهدوء والطمأنينة، فلا تنتشر فيها السلوكيات السيئة، والأخلاق الرذيلة، ويقل فيها الشرور، والآفات، والرذائل، وتكون آمنة مُطْمَئِنَّةً، ويكون بين أهلها التراحم، والتعاطف، والتكافل، والتعاون على البر والتقوى. يقول الله تعالى في وصف أبناء مثل هذه المجتمعات، المؤمنة بالله وبرسوله: **{الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}** [الرعد: ٢١-٢٢]. فدلت الآيات على أن إيمانهم بالله، وخوفهم إياه، ورهبتهم من مناقشة الله إياهم في الحساب، هو الذي جعلهم جادِّين في طاعة الله، محافظين على حدوده، قائمين بحقوق الله وحقوق العباد؛ لأنهم يخافون الحساب الذي فيه الاستقصاء المناقشة في الصغير والكبير. [٢٨]

المبحث الثاني: الرياء وعدم الإخلاص

شرع الله -تعالى-لعباده عدداً من العبادات؛ وجعل الإخلاص في العبادات وصفاء النيّة لله تعالى، وعدم الرياء، والتظاهر، والتفاخر فيها، شرط لصحّتها وقبولها عند الله تعالى، فكان من حقوق الله تعالى الوجبة على العباد إخلاص العمل له سبحانه، من شوائب الشرك بنوعيه -الأكبر، والأصغر-، والرياء من الشرك الأصغر، وهو شعبة من شعب النفاق، يتصف به أهل النفاق، وضعفاء الإيمان، وهو صفة من صفات المنافقين، الظاهرة الملازمة لهم، فيعتبر من الأخلاق الذميمة، والسلوكيات السيئة اتجاه الخالق الواحد القهار، ولما كان الرياء تنبثق وتنتج من النفاق، وعدم الإيمان بيوم الحساب والجزاء، ورد التحذير منه في السورة مدرجة في الصفات، والسلوكيات التي يتصف بها المكذبون بيوم الحساب والجزاء، من أهل الكفر، والنفاق، وقد ذم الله بها المنافقين لكونه من أبرز صفاتهم، وذلك بعد أن ذمهم بالسهو عن الصلاة، والتهاون بها، مشير إلى أن الذي جرأهم عليهما هو عدم إيمانهم بيوم الحساب والجزاء، فقال:**{الذين هم يرآءون}** أي: الذين يفعلون الطاعات، والأعمال؛ لقصد التزلف إلى الناس، وليروهم الناس، ويظنوا بهم خيراً، وليكون لهم قيمة في

---

(٢٧) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٧- ٢٨٨).

(٢٨) التفسير الواضح (٢/ ٢٢٨).

المجتمع؛ وليس قصدهم التقرب إلى الله عز وجل؛ لأنهم غير موقنين بمعادٍ، ولا ثواب ولا عقاب. (٢٩)

المطلب الأول: تعريف الرياء، وبيان حكمه

تعريف الرياء: الرياء: مصدر من راءيته مراءاة ورئاء، أي: أريته أني على خلاف ما أنا عليه (٣٠) فالمرائي: يري الذي يراه أنه يفعل، ولا يفعل بالنية، ولا الإخلاص لله، بل بملاحظة غير الله -نعوذ بالله منه. (٣١)

وحقيقة الرياء: طلب ما في الدنيا بالعبادة، بإظهار العمل للناس، طلباً للمنزلة في قلوبهم، وليروه ويظنوا به خيراً(٣٢)

حُكْم الرّياء: وقد بيّنت الشريعة الإسلاميّة أنّ الرّياء محرّم، وأنّ العمل المصاحب للرّياء مردود وغير مقبول، وأنه نوع من أنواع الشّرك بالله تعالى، كما قال رسول الله -ﷺ-: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**» (٣٣).

وقد دل على تحريم الرّياء، أدلة من الكتاب والسنة، غير ما تقدم، منها: قوله تعالى: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}** [الكهف: ١١٠]، أي: فمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه فليخلص له العبادة، ولا يرائي بعمله، ولا يبتغي بما يعمل غير وجه الله، فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم (٣٤). وفي الحديث القدسي، قال رسول الله -ﷺ-: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**» (٣٥) ومعناه أنه غني عن المشاركة، فمن عمل شيئا لي، ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به(٣٦)

المطلب الثاني: مجالات ومظاهر الرياء

للرياء مظاهر، ومجالات كثيرة، منها ما يأتي:

أولا: أن يتصدق الأنسان، وينفق في سبيل الله لكنه ليس لقصد نيل الأجر، والثواب من الله تعالى، وإنما لمراءة الناس، ومن أجل أن يقول الناس ما أكرمه، كما قال تعالى

---

(٢٩) جامع البيان للطبري (٩/ ٣٣١)، وتفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٨).
(٣٠) جمهرة اللغة (٢/ ١٠٦٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٣٤١).
(٣١) تهذيب اللغة (١٥/ ٢٣٢)، والتعريفات (ص: ١١٣).
(٣٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٨٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢١٢).
(٣٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٩)، رقم: (٢٣٦٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٥٣)، رقم: (٤٣٠١).
وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (١/ ٣٢٣).
(٣٤) صفوة التفاسير (٢/ ١٩١).
(٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٩)، رقم: (٢٩٨٥).
(٣٦) شرح محمد فؤاد عبد الباقي، في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٩).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} الآية، [البقرة: ٢٦٤] وهذا نهي من الله للمؤمنين، عن إبطال ثواب صدقاتهم بالمن بها على الفقراء، أو إيذائهم بالقول، أو بالفعل؛ كإبطال الذي ينفق ماله مراءاة للناس، فهو لا يريد بإنفاقه رضى الله، ولا طالب منه الثواب، وإنما يريد ثناء الناس، ليقالوا: هو سخيّ كريم، رجل صالحٌ، فيحسنوا عليه به الثناء.(٣٧)

ثانيا: يصلى ويحسن صلاته، بإطالة السجود والركوع، وزيادة الخشوع والطمأنينة، من أجل أن يقول الناس ما أحسن صلاته، ومن أجل أن يصفوه بأنه متدين خاشع، وما أشبه ذلك. كما قال الله تعالى عن المنافقين: **{وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً}** [النساء: ١٤٢]، انظر إلى هذا الوصف إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، يراءون الناس وكقوله في هذه السورة بعد وصفهم بالسهو عن الصلاة: **{الذين هم يراؤن}**، وعن رسول الله -ﷺ-، قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قال: قلنا: بلى، فقال: «**الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل**» (٣٨)

ثالثا: الجهاد في سبيل الله -تعالى-رياءً، ومن أن يقال فلان مجاهد شجاع، لا يخاف العدو، وغير ذلك، كما قال تعالى ناهيا عباده عن هذا الخلق الذميم: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}** [الأنفال: ٤٧]، قال الطبري: "وهذا تقدُّمٌ من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله، أن لا يعملوا عملا إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين"(٣٩)

رابعا: الرّياء بقراءة القرآن، يقرأ قرآنًا ويجهر بالقراءة ويحسن الأداء والصوت من أجل أن يقال ما أقرأه، وكذا الرياء في النصح، والوعظ، والإرشاد، وتعمّد ذكر الله -تعالى-أمام الناس، أو إظهار العلم أمام النّاس، وغيرها، لا لأجل الله، والتقرب إليه، وإنما لأجل ثناء الناس، ومنفعة الدنيا.

خامسا: الرّياء بالبدن؛ ويكون بإظهار التعب، والإرهاق والمرض؛ حتى يظنّ النّاس بأنّ ذلك من كثرة العبادات، والطّاعات، ويكون أيضاً بإظهار الحزن على الإسلام والمسلمين، وإظهار الخوف من الحياة الآخرة، من أجل ارادة الجاه، وثناء الناس، لا لأجل الله تعالى.

---

(٣٧) جامع البيان (٥/ ٥٢١-٥٢٢).

(٣٨) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٦)، رقم: (٤٢٠٤)، عن أبي سعيد.
وحسنه: محمد فؤاد عبد الباقي، كما في تعليقه على الكتاب، والألباني، كما في صحيح الترغيب (١/ ١١٩)، وصحيح الجامع (١/ ٥٠٩).

(٣٩) جامع البيان (١٣/ ٥٧٨).

سادسا: الرّياء بالملابس، والهيئة العامة؛ بعدم الاهتمام بالشكل الخارجيّ كعدم الاهتمام بالملابس، وبالمشي في الطريق مع خفض الرأس، وعدم إزالة أثر السجود عن الوجه، من أجل أن يراه الناس، فيثنوا عليه بالخير، ويظنوا فيه خيراً. وغيرها من مظاهر الرياء ومجالاتها، كلها ذميمة، وخطيرة، ومن السلوكيات السيئة، والأخلاق الرذيلة التي يجب على كل مسلم ناصح لنفسه، أن يسعى في خلاص نفسه منها، بالدعاء، وأخذ الأسباب المعينة على ذلك.(٤٠)

المطلب الثالث: آثار الرياء على الفرد والمجتمع.

الرياء من السجايا الذميمة، والخلال المقيتة الدالة على ضعة النفس، وسقم الضمير، إذ هو الوسيلة الخادعة التي يتخذها المنافقون والمتلونون والمنحرفون ذريعة لأهدافهم، ومآربهم، الدنيئة، وقد حذر الشارع الحكيم من هذه الصفة الذميمة وبين عواقبها وخطرها، ونفر منها في جميع مجالاتها، ومظاهرها، لما للرياء من خطر عظيم على الفرد والمجتمع والأمة؛ ومن أبرز أخطار، وآثار الرياء مايأتي:

-الرياء يذهب بثواب العمل، ويُبطله -والعياذ بالله-، وهذا خطر عظيم على المرء؛ وقد ورد في آيات عديدة بيان قبح الرياء، وبطلانه لعمل صاحبه، ومحق ثوابه عند الله تعالى، وأنه ليس من فعل المنافقين ومن تلك الآيات: قوله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**} [البقرة: ٢٦٤]، يعني: أن الرياء يبطل الصدقة،(٤١) وقوله: {**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [هود: ١٥، ١٦]، وهذا دليل على بطلان عمل المرائي، وأن الأعمال التي يقوم بها لا تنفعه في الآخر، بل تعتبر باطلاً لا ثواب عليها؛ لأنها لم تكن لوجه الله.

- أن الرياء: شرك بالله تعالى، وهو أخطر على المسلمين من المسيح الدجال، ومن صفات المنافقين، فالواجب على المسلم أن يبتعد عنه، ويجتنبه في جميع الأعمال، والعبادات والطّاعات التي يقوم بها، قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» الحديث.(٤٢)

-الرياء يُورث الذلّ والصّغار، والهوان، والفضيحة، في الدنيا والآخرة، يقول النبي -ﷺ-: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**»،(٤٣) المعنى: من سمّع فضحه الله، وبين للناس أن الرجل ليس مخلصاً، ولكنه يريد أن يسمعه الناس: فيمدحوه على

---

(٤٠) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٨-٣٢٩).

(٤١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٠٠).

(٤٢) تقدم تخريجه

(٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٤-١٠٥)، رقم (٦٤٩٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٩)، رقم: (٢٩٨٦)، كلاهما، عن ابن عباس.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

علانته، ومن راءى كذلك راءى الله به، فالإنسان الذي يرائي الناس، أو يسمّع الناس سوف يفضحه الله، وسوف يتبين أمره إما عاجلاً أم آجلاً. [٤٤]

- **يسبب عذاب الآخرة؛ ولهذا أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة** – كما في جاء في الحديث: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدّق بماله، الذين فعلوا ذلك ليُقال: فلانٌ قارئ، فلانٌ شجاعٌ، جريءٌ، فلانٌ كريم جواد. [٤٥] ولم تكن أعمالهم خالصةً لله تعالى.

-**الرياء من تزيين الشيطان فمن اتصف به فقد اتبع خطوات الشيطان** فيكون مصيره النار، وبئس المصير، نعوذ بالله من الرياء، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا}** [النساء: ٣٨] أي: ينفقه مُراءاة الناس، لا ابتغاء وجه الله ولا يؤمنون الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، ومن يكن الشيطان له صاحبًا، يتبع أمره، ويترك أمرَ الله في إنفاقه ماله رئاء الناس، وجحوده وحدانية الله والبعث بعد الممات، فساء الشيطان قرينًا. [٤٦]

وأما آثاره على المجتمع: للرياء آثار وخيمة ومساوي على المجتمع منها:

- أن الرياء سبب في هزيمة الأمة، كما أن الإخلاص سبب في انتصارها؛ لذا نهى الله تعالى المؤمنين عن هذا الخلق الذميم عند خروجهم إلى بدر، وجعل تجنبه ضمن الأمور التي تكفل النصر للمسلمين، فقال: **{لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}** [الأنفال: ٤٧]، وقد قال النبي ﷺ : «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[٤٧] فبين الحديث أن الاستنصار إنما يكون بالضعفاء الصالحين، المخلصين، وأن الاستنصار بهم يكون بدعائهم وصلاتهم، وإخلاصهم؛ لأن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء، وأكثر خشوعاً في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا. [٤٨]

---

(٤٤) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٩)

(٤٥) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ١٦٩)، رقم: (٢٣٨٢)، وقال: "هذا حديث حسن غريب" والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٥)، رقم: (١١٨٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٩)، رقم: (١٥٢٧)، وصححه.

والحديث: صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١١٧)، وصحيح الجامع (١/ ٣٥٢).

(٤٦) جامع البيان (٨/ ٣٥٦-٣٥٨).

(٤٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٦)، والنسائي في سننه (٦/ ٤٥)، رقم: (٣١٧٨)، واللفظ له.

وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٠٩)، وموسوعة الألباني في العقيدة (٣/ ٦٩٥).

(٤٨) قاله ابن بطال كما في فتح الباري لابن حجر (٦/ ٨٩).

- **خداع الناس، فالمرائي والمظهر للناس الصلاح**، ينخدع به كثير من الناس، ويظنون فيه الخير، والصلاح؛ لما أظهره لهم، فيميلون إليه، ويتأسون به، ويقتنعون بما هو عليه، ويمشون وراءه؛ فيكون ذلك سببا في انتشار هذا الداء العضال، والخلق الذميم القبيح في المجتمع، وأيضا: قد يأتمنه الناس على أمورهم ويعلقون ثقتهم، ورجاءهم به؛ ويرون أنه أفضلهم؛ لما يرون من ظاهره، فيحدث بذلك شر، وفساد كبير في المجتمع، والله أعلم.

المبحث الثالث: السهو عن الصلاة، والتهاون بها

إن من حقوق الله تعالى الواجبة على العباد أن يعبدوه وحده كما أمر؛ لأن العبادة هي الغاية العظمى في خلق العباد، وإيجادهم في هذه الدنيا، كما قال الله تعالى مخبراً عن الغاية من خلق الجن والإنس: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: ٥٦]، أي: وما خلقتهما إلا لعبادتي وتوحيدي، لا لطلب الدنيا، والانهماك بها. وهي الهدف في خلق السماء والأرض، كما قال تعالى مبيناً ذلك: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ}** [ص: ٢٧] أي: ما خلقناهما عبثاً وسُدًى، وهذا هو ظنُّ الكفار الفجار الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء، وليس الأمر كما ظنوا، وإنما خلقناهما لحكمة عظيمة، وغاية نبيلة، وهي ليعمل فيهما بطاعتي، وعبادتي.[٤٩]

وأفضل العبادات وأعظمها أجراً، وآكدها على المكلف ما فرضه الله عليه وحتَّمه، ومن أعظم الفرائض، وأعلاها مقاماً، وأكثرها أجراً الصلوات المكتوبة، فهي ثاني أركان الإسلام، وأحد عمودها الخمسة، التي من أقامها، فقد أقام دينه، ومن ضيعها وهدمها، فقد ضيع دينه وهدمه؛ لذا فإن من أعظم السلوكيات قبحاً وشناعة مع الله الخالق العظيم تضييع الصلوات المفروضة، التي تعتبر أدائها من أعظم حقوق الله تعالى على العبد الضعيف، لذا جاءت السورة للتنويه والتنبيه على خطورة وشناعة تضييع الصلاة، والتهاون بها، وبيان العاقبة الوخيمة المترتبة على ذلك، فقال: **{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}**، أي: هلاكٌ ودمار وعذابٌ عظيم للمصلين المستخفين بصلاتهم، الغافلين الساهين عنها، وهذا وعيد شديد للغافلين الساهين عن الصلاة المفروضة.

المطلب الأول: مفهوم السهو عن الصلاة في الآية

والسهو عن الصلاة: الغفلة أو التغافل عنها، والتهاون والاخفاف بها، فلا يقيمها على الوجه اللائق بها، الذي يرضي الله تعالى، وأما الساهي في صلاته فهذا لا يُلام، والفرق بينهما أن الساهي في الصلاة معناه أنه نسي شيئاً على وجه لا يلام عليه.

---

(٤٩) جامع البيان (٢١/ ١٩٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٨).

وأما الساهي عن صلاته، هو المتغافل عنها، والمتعمد لتركها، والسهو عنها تهاوناً، وهذا هو المقصود المذموم في الآية. (٥٠)

المطلب الثاني: مظاهر السهو عن الصلاة، والتهاون بها

للسهو عن الصلاة، والتهاون بها، مظاهر منها ما يأتي:

الأول: السهو عن فعلها، وتركها بالكلية، وهذا لا يصدر غالباً إلا عن كافر أصلي، أو مرتد عن الإسلام، أو عن شخص يدعي الإسلام، وينتسب نفسه إليه، ولكن لا يصلي، وهذا في الحقيقة ليس بمسلم، وإن انتسب نفسه إلى الإسلام؛ لأن من ترك الصلاة بالكلية، ولا يصلي أبداً، فهو كافر، وإن ادعى الإسلام، لقوله تعالى عن المشركين: **{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ}** [التوبة: ١١]، أي: فإن رجعوا عن كفرهم وشركهم بالله، إلى الإيمان بالله وبرسوله، وأقاموا الصلاة المكتوبة، وأدّوها بحدودها وأركانها، كما أوجبها الله، وآتوا الزكاة المفروضة، فهم إخوانكم في الإسلام، ومفهوم الآية أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا إخوانا لنا في الدين، فدل هذا على كفر تارك الصلاة. وقوله النبي -ﷺ-: **«إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»** (٥١) معناه: إن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه. (٥٢)

وهذا لا يدخل في السهو المذكور في الآية؛ لأن الله تعالى، وصف أصحابه بأنهم يصلون، لكن لا تنفعهم صلاتهم؛ لأنهم يسهون عنها، وأما هؤلاء فهم لا يصلون أصلاً.

الثاني: السهو عن الوقت المقدر لها شرعاً، فيؤخرونها عن وقتها بالكلية، أو عن الوقت الفاضل، تهاوناً بها، لا لعذر شرعي، غير مبالين بها.

الثالث: السهو والتغافل عن أركانها وفرائضها، وشروطها، فلا يقيمونها ويؤدونها على الوجه المطلوب، تهاوناً واستخفافاً بها، فلا يتمون ركوعها، ولا سجودها، ولا قيامها، ولا قعودها، لا يقرأون ما يجب فيها من قراءة، وإذا دخلوا في صلاتهم دخلوها مستعجلين، كسلانين متهاونين غير مهتمين، غافلا قلوبهم، ينقرونها نقر الديك، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلاً، وقد تصور لنا نبينا -ﷺ- هذه الصورة السيئة للصلاة، وبين أنه من صفات المنافقين، فقال -ﷺ-: **«تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعا، لا يذكر الله فيها إلا قليلا»**،(٥٣) وقال -ﷺ-: **«أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته»** قالوا: يا رسول

(٥٠) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٧).
(٥١) أخرجه مسلم في صحيه (١/ ٨٨).
(٥٢) صحيح مسلم (١/ ٨٨)، شرح محمد فؤاد عبد الباقي.
(٥٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٣٤)، رقم: (٦٢٢).

الله وكيف يسرقها؟ قال: «لا يتم ركوعها، ولا سجودها، ولا خشوعها»(٥٤)، فبين النبي -ﷺ-، أن هذا المضيع للصلاة، والمتهاون بها، والغافل عنها يؤخر الصلاة عن وقتها متعمِّداً، حتى إذا قاربت الشمس الغروب، قام وصلاها بسرعة واستعجال، فلا يتم ركوعها وسجودها، ولا قيامها، ولا قراءتها، ولا يطمئن بين الأركان، فهو على هذا أسوأ الناس سرقة، وآثم بفعله هذا.

وهذه كلها داخلة في السهو المذكور في الآية، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي، فإن المصلون المتصفون بهذه الصفات، هم الذين وصفهم الله تعالى في السورة، بالسهو عن الصلاة، وتوعدهم سبحانه بالويل، وهم المنافقون، ومن على شاكلتهم؛ لأنهم لا يقدرون لها قدرها، ولا يرجون لها ثواباً، ولا يخافون على تركها، وتضييعها وتهاون بها عقاباً، كما قال الله تعالى عن المنافقين: **{وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}** [النساء: ١٤٢]، أي: إذا قام هؤلاء المنافقون إلى أداء الصلاة التي هي من أعظم الفرائض وأفضل العبادات، قاموا إليها كسالى متثاقلين، غير مهتمين بها، وكما قال: **{ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى}** [التوبة: ٥٤]، وهذه صفة ظواهرهم، ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال: **{يراءون الناس}** أي: لا إخلاص لهم، وإنما يصلون مع تثاقل وتكاسل رياءً للمؤمنين؛ لأنهم إن صلوا لم يرجوا خير صلاتهم، وإن تركوها لم يخفوا ربه؛ لأنهم غير معتقدي فرضها، ووجوبها عليهم.(٥٥).

قال ابن كثير: "هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها.... لا إخلاص لهم، ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الناس تقية من الناس ومصانعة لهم؛ ولهذا يتخلفون كثيرا عن الصلاة التي لا يرون غالبا فيها كصلاة العشاء وقت العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا... » (٥٦) (٥٧)

---

(٥٤) أخرجه مالك في الموطأ ت الأعظمي (٢/ ٢٣٣)، رقم: (٥٧٩)، وأحمد في مسنده (١٨/ ٩٠)، رقم: (١١٥٣٢)، عن أبي سعيد، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥٢)، رقم: (٨٣٥)، عن أبي قتادة، وصححه، ووافقه الذهبي.

حسن، أو صحيح لغيره. ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٢/ ١٢٠)، وصحيح الترغيب (١/ ٣٤٥-٣٤٦)، وصحيح الجامع (١/ ٢٢٩).

(٥٥) جامع البيان (٩/ ٣٣١-٣٣٣)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٣).

(٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢)، رقم: (٦٥٧)، ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥١)، رقم: (٦٥١)، واللفظ له.

(٥٧) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٨).

وبالرغم كون هذه الصفات من صفات المنافقين، إلا أنه يتصف بها بعض المنتسبين إلى الإسلام، إما ببعضها، أو كلها، فعندما يقوموا إلى الصلاة لمناجاة ربهم، والوقوف بين يدي الخالق المدبر، المعطي المانع، تجدهم متباطئين متثاقلين متكاسلين؛ غير مهتمين، كأنما يصعدون في السماء، وكأنما يساقون إلى الموت، أو إلى أصعب الأفعال، وأشق الأعمال، وتراهم يصلون في الأوقات التي لا يشغلهم فيها شيء، ولو كان تافها، وأما إذا شغلهم عمل، أو لهو، فلا يذكرون الصلاة، ولا يؤثرونها على عملهم، أو لهوهم، ولا يكترثون أصلوا أم لم يصلوا، حتى لكأن الصلاة لا قدر لها، ولا وزن عندهم، وأحياناً يصلون مع الجماعة حياء، وخوفاً من قالة السوء فيهم، فهؤلاء لا شك أنهم عن صلاتهم ساهون، فينالهم قسط من هذا الوعيد؛ وهم ليسوا بمصلين في الحقيقة، فصلاتهم ليست نافعة لهم، -وإن ركعوا، وسجدوا- فلا يأتمرون منها بمعروف، ولا ينتهون بها عن منكر؛ لأن صلاتهم تلك شكلية، إنما تقع عفوا، ولم يعلم هؤلاء المساكين أن هذا التكاسل، والتثاقل والاستخفاف بأمر الصلاة، من سمات المنافقين الكافرين، الذين ذمهم الله في تضييعهم للصلاة وتهاونهم في أدائها، بقوله: **{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}** والذم لكل من يفرط في صلاته، ولعل العاقل يشمئز من هذا الوصف فيراجع نفسه، ويعود لرشده فيقيم الصلاة في وقتها، ولا يهملها.[٥٨]

فعلى المسلم الفطن الموفق الذي يريد النجاة يوم الدين، أن يتأمل صلاته جيداً، ويحاسب نفسه دائما في صلاته، ويسأل نفسه هل هو يقبل على الله بقلبه وبكل جوارحه في صلاته، وهل يذهب لملاقاة ربه ومناجاته في الصلاة بنشاط، واجتهاد وانشراح، كما يذهب إلى مقابلة أحب الناس إليه، وأعظمهم جاهاً وعظمة عنده، أم يصليها مشغول البال في أمور الدنيا، وملذاتها، أم يذهب ذهاب الكسالى، والمتثاقلين في أدائها، وهل أصلي صلاة المؤمنين الصادقين، أم صلاة المنافقين المذمومين.

المطلب الثالث: آثار السهو عن الصلاة، والتهاون بها على الفرد والمجتمع

فإن للسهو عن الصلاة، وتهاون بها، وتضييعها، خطورة عظيمة، وعاقبة وخيمة، وأثار سيئة على الأفراد والمجتمعات، منها:

أولا: أن السهو عن الصلاة والتهاون بها، سببا من أسباب لويل والهلاك، والخسارة، واستحقاق العذاب العظيم، يوم القيامة، لما تقدم من الوعيد الشديد، والذم الأكيد من الله تعالى لمن يضيع الصلاة ويتهاون في أدائها في قوله: **{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}** [الماعون: ٤، ٥]، وما جاء أيضا- من الذم والوعيد الشديد لهم، في قوله: تعالى: **{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا}** [مريم: ٥٩، ٦٠]، وما حكى الله سبحانه عن الكافرين عندما سألهم أهل الجنة عن

---

(٥٨) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٦٨٦)، وتفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٧)، وأوضح التفاسير (١/ ١١٨).

سبب دخولهم النار يوم القيامة، أول إجابة أجابوا بها أن قالوا: لم نكن من المصلين، كما في قوله تعالى: **{فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}** فدلت الآيات على أن تضييع الصلاة، والتهاون بها، والسهو عنها، إما بتركها بالكلية، أو تضييع أو قاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، وسلوك طريق الشهوات، وإيثارها على الصلاة، وعبادة الله تعالى، من صفات الأشقياء الذين يدخلون جهنم، ويلقون فيه كل شرٍّ، وخسارٍ، ويعذبون فيه عذاباً شديداً، إلا من تاب منهم، ورجع عن هذا الفعل الشنيع، فإن الله يقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من ورثة جنة النعيم.(٥٩)

ثانيا: أنه يؤدي إلى الكفر والنفاق، كما تقدم في قوله تعالى: **{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ}** [التوبة: ١١]، وقوله -ﷺ-: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**» (٦٠) وقوله -ﷺ-: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**» (٦١)

ثالثا: أن السهو عن الصلاة، وإضاعتها والتهاون، والاستخفاف بها، وعدم الاهتمام، سبب من أسباب انتشار الفحشاء والمنكر، والفجور، والمعاصي بأنواعها في المجتمع؛ كما أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: **{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}** [مريم: ٥٩]، حيث ذكر تضييع الصلاة، ثم أعقبه باتباع الشهوات؛ ليلفت النظر إلى التلازم بين إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، مما يمكن أن يفيد أن تضييع الصلاة سبب لاتباع الشهوات، وأن هذا ما يتبع تضييعها عادة، كما أن اتباع الشهوات نتيجة لإهمال الصلاة، وعبادة الله تعالى، وذكره، وقد جاء هذا المعنى بصراحة أكثر في قوله تعالى: **{اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ}** [العنكبوت: ٤٥]. فبين سبحانه أن الصلاة الجامعة لشروطها وآدابها، المستوفية لخشوعها وأحكامها، إذا أداها المصلي كما ينبغي، وكان مخلصا لله، صادقاً في النية، وخاشعاً في صلاته، نهته عن الفواحش والمنكرات، وأما الذين يضيعون الصلاة، ويغفلون عنها، ولا يشغلون أنفسهم بها، ويصلون صلاتهم بدون خشوع وخضوع، واستحضار قلب لعظمة الله، فصلاة هؤلاء بلا شك لا ينتفعون بها، فلا

---

(٥٩) جامع البيان (١٨/ ٢١٥-٢١٧)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٢٤٣-٢٤٦) وصفوة التفاسير (٢/ ٢٠٢).

(٦٠) تقدم تخريجه.

(٦١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٣٤٢)، رقم: (١٠٧٩)، والترمذي في سنن (٥/ ١٤)، برقم (٢٦٢١)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، والنسائي في سننه (١/ ٢٠٨)، رقم: (٣٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨)، رقم: (١١)، وصححه.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يأتمرون منها بمعروف، ولا ينتهون بها عن منكر، ولا تحول بينه، وبين إتيان الفواحش، والزنى والمعاصي، والأخلاق الرذيلة.[٦٢] فعن ابن عباس، وغيره، في هذه الآية، قال: "من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بُعدا".[٦٣]

ففهم مما تقدم أن المجتمع الذي قل فيه الاهتمام بالصلاة، وكثر فيه التاركون والمضيعون للصلاة، والمتهاونون بها، والغافلون عنها، يكثر فيه الشرور، والفساد، والفحشاء، والمنكر، والإجرام، والمعاصي والذنوب، والظلم وتضييع الحقوق، كما أن المجتمع الذي اهتم أهلها بالصلاة، وأقاموها كما أمر الله تعالى يكثر فيه الخير، والصلاح، والطاعة، والعبادة، والإقبال على الله، والأمن والأمان، ويقل أو يندر فيه الشر، والمنكر، والفحشاء، والمعاصي، ويكون أهله أبعد عن الظلم والفساد.

رابعا: أن التارك للصلاة والمضيع لها والغافل عنها، تجده ضيق الصدر، كثير القلق، والاضطراب النفسي، دائما في هموم، وغموم، وأحزان، لا تنتهي مشاكله؛ لأن بالصلاة والذكر تطمئن القلوب، وتهدأ، وبها وبالصبر يستعان على الأمور، فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى: **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}** [البقرة: ٤٥]، أي: اطلبوا المعونة على أموركم كلها، بالصبر الذي هو تحمل ما يشق على النفس من تكاليف شرعية، وبالصلاة التي هي عماد الدين. وقال تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ...}** [الرعد: ٢٨]، أي: الذين آمنوا تهدأ قلوبهم، وترتاح، وتسكن وتستأنس بذكر الله، وأعظم الذكر: الذكر في الصلاة، ثم قال: **{أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}** ألا فانتبهوا أيها القوم فإن بذكر الله تستأنس، وتسكن قلوب المؤمنين، فلا يشعرون بقلق واضطراب، على عكس الذين أعرضوا عن ذكر الله، وضيعوا الصلاة التي هي من أعظم العبادات، وجيء بصيغة المضارع **{وَتَطْمَئِنُّ}** لإفادة دوام الاطمئنان واستمراره.[٦٤] فالإيمان بالله وعبادته وحده، هي الواحة التي تجد فيها الروح الظلال من هاجرة الضلال في تيه الحيرة، والقلق والشرود، كما أنه هو القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع، ونظامه في كرامة، وحرية ونظافة واستقامة".[٦٥]

خامسا: وفي الغفلة عن الصلاة، وتضييعها، والتهاون والاستخفاف في أمرها، طاعة للشيطان، ومتابعة له على مراده، كما قال تعالى:**{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ**

---

(٦٢) أوضح التفاسير (١/ ٣٧١)، و(٣/ ٩٠٩)، والتفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٦٨٦-١٦٨٧)، وصفوة التفاسير (٢/ ٤٢٤).

(٦٣) جامع البيان (٢٠/ ٤١-٤٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٠-٢٨١).

(٦٤) جامع البيان (١٦/ ٤٣٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٥٢)، وصفوة التفاسير (١/ ٤٨)، و(٢/ ٧٦).

(٦٥) في ظلال القرآن (٢/ ٨٢٣).

أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١]، فبين سبحانه وتعالى أن مراد الشيطان أن يشغل أهل الإيمان بهذه الأمور، من أجل أن يوقع بينهم العَداوَة، والبغضاءَ، ويصرفهم عن ذكر الله وعبادته عموما، وعن الصلاة خاصة، التي فرضها عليهم ربهم، وبها صلاح دنياهم وآخرتهم، إما أن يصدهم عن فعلها بالكلية، أو مراعاة أوقاتها، وأدائها في وقتها، أو عن فعلها بحدودها وأركانها وشروطها، أوعن ذكر الله فيها،(٦٦) وكلها تضييع للصلاة وتهاون بها، وطاعة للشيطان، وإذعان لمراده ورغبته.

الفصل الثاني: السلوكيات المذمومة في حق العباد.

المبحث الأول: ظلم اليتيم، ودفعه عن حقه

فاليتيم ضعيف حسياً، ومعنوياً، أي: ضعيف في جسمه وبنيته، وضعف في عقله، وتفكيره؛ لأنه صغير لم يبلغ، فهو لا يقوى على رعاية شؤونه بنفسه، ولا يقدر على إدارة أمور حياته، وبالتالي فهو يحتاج إلى من يقف إلى جانبه، ويقوم بتربيته، وتنشئته تنشئة حسنة صالحة، ويأخذ بيده ويرعاه رعاية كريمة، محفوفة بالشفقة، والرحمة، واللطف، والحنان حتى يبلغ، ويشتد عوده، وتقوى شوكته، فيصبح قادراً على القيام بأموره، ورعاية شئونه بنفسه، فلما كان بعض النفوس قد انحرفت عن الفطرة، وجادّة الصواب، فيغلب عليها القسوة، والشدة في التعامل مع اليتيم، والطمع، والجشع في أمواله، ممّا يقودهم إلى ظلمه، وتجاوز حقوقه، والاعتداء عليه، وإذلاله، وإهانته، وعدم القيام بواجب الإحسان إليه، والرحمة به، جاء الذم والتقبيح لهذا السلوك السيء، والخلق الذميم في القرآن الكريم، فوصف الله تعالى في السورة المكذب بالحساب، والجزاء بهذا السلوك، تقبيحاً، وتشنيعاً له، وتنفيراً منه، وأنه من سلوكيات وأخلاق من لا يؤمن بأن الله سيبعثه بعد موته، ويحاسبه، ويجازيه على أعماله؛ ليَحذر ويَفر منه المسلم، فقال تعالى: **{فذلك الذي يدع اليتيم}** أي: فهذا الذي يكذِّب بالحساب والجزاء، هو الذي يظلم اليتيم، ويدفعه عن حقه بعنف، وشدة، ويقهره، ويذله، ويحتقره؛ لأن قلبه - والعياذ بالله- قد خلا من الرحمة، وجفت عواطفه من الحنان، والعطف(٦٧)، فدل النص القرآني على إنكار سلوك من يسيء إلى اليتيم، وينتقص من كرامته، ورُبط ذلك بتكذيب الحساب والجزاء؛ دلالةً على خطورة الأمر.

المطلب الأول: مفهوم اليتيم

واليتيم في اللغة: جمع أيتام، ويتامى، ومعناه: الانقطاع، والانفراد، فكل منفرد، ومنفردة عند العرب يتيم، ويتيمة، فسمي اليتيم يتيما لانفراده عن أبيه،

---

(٦٦) جامع البيان (١٠/ ٥٦٥)، ومحاسن التأويل (٤/ ٢٤٤)، وأوضح التفاسير (١/ ١٤٤).

(٦٧) ينظر: تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٦-٣٢٧)، والتفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٦٨٥).

وانقطاعه عنه، يقال: يَتِمَ الصبيّ بالكسر، يَيْتَمُ يُتْماً ويَتْماً، بالتسكين فيهما، إذا صار يتيماً منقطا عن أبيه. [٦٨]

واليتيم في الاصطلاح: يطلق على من مات أبوه وهو صغير لم يبلغ الحُلُم، ذكراً كان، أو أنثى، وأما من فقد أمه لا يوصف باليتْم، وكذا من بلغ الحلم يزال عنه اسم اليتْم حقيقة، وإن وصف باليتم، فيكون إطلاقاً مجازياً، وذلك باعتبار حاله الذي كان قبل الحُلُم. [٦٩]

المطلب الثاني: مظاهر عناية القرآن باليتيم والدفاع عن حقوقه

لقد اهتم الدين الإسلامي في تشريعاته الإسلامية بحقوق الإنسان بشكلٍ عامٍ، وأكّد على العناية والاهتمام بحقوق الفئة الضعيفة في المجتمع، ومن أبرزها الأيتام، فقد أكّد القرآن الكريم على العناية باليتيم، وبيّن أهمية رعايته، وحفظ حقوقه، وعاقبة ظلمه، ومنعه من حقوقه؛ وحذّر أشدّ تحذيرٍ من ظلمه، وتضييع حقوقه، والاعتداء عليها، وعاب على المعتدين على اليتيم، وحقوقه سلوكهم المشين، ويظهر ذلك في أمور، منها:

-النهي عن ظلم اليتيم بقهره، وتحقيره، استضعافًا له، وتَهاوُناً به، كما في قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ-: **{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}** [الضحى: ٩]، وفي هذا نهي أكيد عن ظلم، وقهر اليتيم، وذلك لما له من أثر نفسي سيء عليه، ولما فيه من عاقبة وخيمة على هذا الظالم القاهر.

الثاني: الأمر بإكرام اليتيم، والتشنيع، والإنكار على من يهينه ويذله، لم يكتفي القرآن الكريم بالنهي عن قهر اليتيم، أو ظلمه، بل إنه ذكر ضرورة إكرامه أيضاً سواء بالقول، أو بالفعل، فقال تعالى في ذم الكفار المغرورين، الذين يذلون اليتامى: **{كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ }** [الفجر: ١٧، ١٨]، أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر كما تظنون، بل الإكرام، والإهانة بطاعة الله، ومعصيته، وأنتم لا تطيعون الله فيما أمركم به من إكرام اليتيم؛ ولا تنتهون عما نهاكم عنه من إهانته، لذا أهلكم الله، وفي هذا أمر بالإكرام لليتيم، وعدم الإساءة إليه. [٧٠]

الثالث: الأمر بالمحافظة على مال اليتيم، وإعطاؤه إياه حين بلوغه ورشده، والنهي عن الإسراف، والتبذير فيه، وأكله بغير حق، ومن ذلك قول سبحانه: **{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا}** [النساء: ٦]، وفى هذه الآية، يدعو سبحانه القومة على اليتامى،

([٦٨]) غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٣١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ١٦٣)، وجمهرة اللغة (٣/ ١٢٨٦)، ومنتخب من صحاح الجوهري [يتم] (ص: ٥٨٨٧)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٤١-٢٤٢).

([٦٩]) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٦٣)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٤١-٢٤٢)، وطلبة الطلبة (ص: ٤٢)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٢٩٢).

([٧٠]) جامع البيان (٢٤/ ٤١٣)، والتفسير الواضح (٣/ ٨٦٢)، وصفوة التفاسير (٣/ ٥٣١).

من أولياء وأوصياء أن يضعوهم دائما تحت التجربة، والاختبار، لسياسة أموالهم، وتدبيرها بأنفسهم، وذلك بأن يشركوهم معهم في بعض التصرفات، ويطلعوهم على طرق الأخذ، والعطاء بين الناس، فإن أبصروا منهم صلاحاً في دينهم، ومالهم عند بلوغهم الحلم، دفعوه إليهم كاملة، ثم حذرهم ونهاهم عن المبادرة، والمسارعة في إنفاق مال اليتامى، وأكله عن طريق الإسراف، والتبذير، قبل أن يخرج من أيديهم إلى اليتامى. **ثم بين حكم الأكل من غير إسراف**، ولا تبذير، وبلا إسراع، ومبادرة، فقال: {**وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**} أي: من كان منكم غنياً أيها الأولياء، فليعف عن مال اليتيم، ولا يأخذ منه شيئاً، وليحمِّل نفسه على ذلك، ومن كان فقيراً محتاجاً، فليأخذ بقدر حاجته الضرورية، وبقدر أجرة عمله، كما أنّه منشغلاً بالمحافظة على مال اليتيم وتنميته، فأباح له الشرع الأخذ من مال اليتيم مقابل ما يقدّمه من عملٍ وجهدٍ في رعاية اليتيم وحفظ ماله، على أن يأخذ بالمعروف دون إسرافٍ ولا تبذيرٍ.

وأمر الأوصياء -أيضا- في آية أخرى بضرورة إيتاء اليتامى أموالهم عند البلوغ وإيناس الرشد، ناهيا لهم عن استبدال الجيد، من مال اليتامى بالرديء من مالهم، أو ضم مالهم إلى أموالهم فتؤكلان جميعا، فقال تعالى: {**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**} [النساء: ٢]؛ لما في هذا من أكل مال اليتيم ظلما، لذا وصف هذا الفعل بقوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} أي: ذنباً عظيماً،[٧١] فإن اليتيم بحاجة إلى رعاية، وحماية؛ لأنه ضعيف، وظلم الضعيف ذنب عظيم عند الله.

وفي هذه النصوص وغيرها، أمر بضرورة الالتزام بمعاملة اليتيم بالحُسنى، وعدم استغلال ضعفهم، وقلة حيلتهم لأخذ حقوقه، والاعتداء على ماله؛ وأن الله سيُدافع عنهم، وينصرهم على من ظلمهم.

الرابع: النهي عن قربان مال اليتيم، والتصرف فيه، إلا بما يعود عليه بالخير والنفع، من تنميته، بطريقة التي هي أفضل، وأخير لماله، فقال تعالى ناهيا للقائمين على مال اليتيم: {**وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**} [الإسراء: ٣٤]. وهذا نهي يتضمن أمراً لكل من يتصرف في مال اليتيم أن يكون قصده إصلاح ماله، وتنميته، لا لقصد إفساده، أو استغلاله لمصالحه، فلم يقل لا تقربوا مال اليتيم إلا بطريقة حسنة، وحسب، بل قال بالتي هي أحسن؛ فإذا كانت هناك طريقتان لتنمية مال اليتيم، والمحافظة عليه، إحداهما حسنة جيدة، والأخرى أحسن منها، وأجود، كان

([٧١]) جامع البيان (٧/ ٥٢٥-٥٢٩)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٤٨١)، والتفسير القرآني للقرآن (٢/ ٦٨٨-٦٨٩).

الواجب على ولي اليتيم أن يستخدم التي هي أحسن وأجود، بل حرام عليه أن يستخدم إلا التي هي أحسن، وأكثر ربحا.[٧٢]

الخامس: التهديد، والتحذير الأكيد، والوعيد الشديد لمن يأكل مال اليتيم ظلماً، بلا سبب، حيث قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**} [النساء: ١٠] أخبر تعالى أن الذين يأكلون أموال اليتامى عدوانا بغير حق يبيح لهم ذلك، ما يأكلون في الحقيقة إلا ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة، وسيدخلون ناراً هائلة مستعرة، وهي نار السعير، والعياذ بالله من نار السعير.[٧٣].

المطلب الرابع: آثار ظلم اليتيم ودفعه عن حقوقه على الفرد والمجتمع

لظلم اليتيم وعدم إعطائه حقوقه، واحتقاره آثار على الفرد والمجتمع، منها ما يلي:

أولا: أن ظلم اليتيم في أكل ماله، يعد من كبائر الذنوب بل من الموبقات السبع، وسبب لدخول نار السعير، لقوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**} [النساء: ١٠]، ولما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات".

ثانيا: أن اليتيم الذي يواجه الظلم، والذل والقهر، وعدم القيام والاهتمام، برعايته وتربيته تربية صالحة على العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة، فإنه سيتعرض لخطر الانحراف العقدي، والأخلاقي، ويكون سبباً في زرع العدوة، والبغضاء في قلبه على المجتمع الذي يعيش فيه، وبالإضافة إلى تمرده عليه، ووجود العُقد النفسية التي قد تجعله مجرماً لصاً، أو قاطعاً للطريق، وبالتالي يكون عنصراً وآلة وسلاحاً هداماً للمجتمع، فسيشكل خطراً كبيراً على المجتمع الذي يعيش فيه، كما أن رعايته وتربيته والحفاظ عليه وعلى أمواله، ستنعكس إيجابيا على مجتمعه، وستسهم في بناء مجتمع سليمٍ خالٍ من الحقد، والكراهية، ونشر الود والمحبة والتكافل بين أبناء المجتمع، فالواجب على المجتمع المسلم وأفراده القيام بحقوق اليتامى، والتعاون على الذب والدفاع عنهم، والحرص على مبادلة الحب والعطف والحنان معهم، لينشأ اليتيم نشأةً سليمة، ويكون بذلك إنساناً صالحاً في المجتمع بحيث لا تؤثّر عليه حالته في حياته الاجتماعية، ولا تتسبّب الوحدة في انحراف سلوكه عن باقي أفراد المجتمع الصالحين.

المبحث الثاني: منع المسكين حقه في الإطعام، وعدم الحث على ذلك

فإن من السلوكيات السيئة، والخصال الذميمة التي يدعو إليها عدم الإيمان بالحساب والجزاء يوم القيامة البخل الشديد، وعدم مساعدة المحتاجين، والرحمة بهم،

---

(٧٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٠).

(٧٣) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٦٣)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٤١-٢٤٢)، وطلبة الطلبة (ص: ٤٢)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٢٩٢)

وقد ذم الله تعالى في السورة هذا السلوك، وجعله من خصال المكذبين بالحساب والجزاء، فقال تعالى: {**وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**} [الماعون: ٣]، وكقوله تعالى:{**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**} [الحاقة: ٣٣، ٣٤]، وقوله: {**ولا تحاضون على طعام المسكين**} [الفجر [١٨]، فبين الله تعالى في هذه الآيات أن من خصال المكذب بالحساب والجزاء يوم القيامة، أنه لا يبعث ولا يحث غيره على نفع المسكين المحتاج، وبذل ما أجبه الله له من الطعام والغذاء، ولا يرغب أحداً في ذلك من أهله وغيرهم من الموسرين، فضلاً أن يفعله هو، وفي إضافة طعام إلى المسكين، دليل على أنه يستحقه، والتقدير: لا يحض على إعطاء طعام المسكين الذي هو حقه على الأغنياء، وكني بنفي الحض عن نفي الإطعام؛ إشارة إلى أنه هو لا يُطعم إذا قدر؛ لأنه إذا لم يحضَّ غيره بخلاً، فلأن يترك هو ذلك فعلاً أولى وأحرى؛ لأن الذي يشح بالحض على الإطعام هو بالإطعام أشح".[٧٤] قال الرازي: "وهذا هو النهاية في الخسة، ويدل على نهاية بخله، وخساسة طبعه، وقاسة قلبه"[٧٥] أي: ليس في قلبه رحمة للمسكين، وغيره من المحتاجين.

والحاصل بيان دناءة هذا السلوك، الذميم الخسيس، حيث وصل بصاحبه البخل والقسوة إلى أنه لا يحرض أحداً على بذل الطعام للمسكين المحتاج، ولا يرغب فيه، فضلاً أن يقوم به هو، بل ربما يأمر غيره، بالمنع والبخل، كما قال الله تعالى في وصفهم: {**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ**} [النساء: ٣٧]، أي: الذين يمتنعون عن الإنفاق على من أوجب الله لهم الإنفاق، ويأمرون غيرهم بالمنع، والبخل؛ لأن من شأنه التكذيب بالبعث والجزاء: لا يبالي بما يفعل؛ أحراماً كان أم حلالاً؟ ما دام يعتقد ألا معقب على فعله، ولا محاسب على جرمه، أسأل الله السلامة والعافية.

المطلب الأول: تعريف المسكين

المسكين مِفْعِيل مأخوذ من السكون، وهو عدم الحركة، وتواضع الحال، والذل والخضوع، ومنه سُمِّيَ المِسْكِينُ بذلك؛ لِسُكُونِهِ إلى النّاسِ، أو لأنّ الفَقْرَ أَسْكَنَهُ، أيْ: قَلَّلَ حَرَكَتَهُ، وجمعه المساكين.[٧٦]

ويطلق على صاحب الحاجة، الذي يملك ما يقع موقعا من حاجته، ولا يكفيه، وهو حينئذ أحسن حالا من الفقير، فإنه الذي لا يملك شيئا أصلا،[٧٧] وقيل بالعكس،

---

(٧٤) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٥٢)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٥٦٦).

(٧٥) جامع البيان (٢/ ١٣٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ١٦٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٥٦)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٤٠).

(٧٦) جامع البيان (٢/ ١٣٧)، معاني القرآن للزجاج (١/ ١٦٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٥٦)، وتهذيب اللغة (سكن) (١٠/ ٤٠)

(٧٧) شرح النووي على مسلم (١٠/ ١٠٥)، وطرح التثريب في شرح التقريب (٤/ ٣٣)، وإرشاد الساري (٣/ ٦٤).

أي: أن المسكين أسوأ حالا من الفقير، لأن المسكين، هو: الذي لا يملك شيئا، والفقير الذي له شيء، وإن كان قليلاً.[٧٨]

المطلب الثاني: مظاهر اهتمام القرآن بالمسكين

فلما كان من طبع الإنسان أن يضن ويبخل بماله، لحرصه الشديد عليه، لما للمال من سلطان في هذه الحياة، هتم القرآن الكريم بأمور الضعفاء، والمحتاجين، وفي مقدمتهم: المساكين والفقراء، فقد حث القرآن وحض الأغنياء على الإحسان والإنفاق عليهم، وجعل لهم حقوقاً في أموال الأغنياء، وأمرهم بإعطائهم إياها، وجعل إطعامهم، ومساعدتهم، والإحسان إليهم من أفضل الأعمال، وأجل القربات، وجزء أصيل من تشريعات، وأحكام هذا الدين القويم، ورتب على ذلك أجوراً عظيمة، وثواباً جزيلاً، وذم الذين يبخلون ويضنون بأموالهم عن إسعافهم، وذلك يتبين ويتضح من خلال أمور منها:

أولا: جعل لهم حقوق في أموال الأغنياء وأمرهم بإعطائهم إياها، كما ورد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن، كقوله تعالى: {**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**} [الإسراء: ٢٦]، وقوله تعالى: {**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} [الروم: ٣٨]، فأمر الله من وسَّع عليه الرزق أن يعطي القريب حقَّه من هذا الذي رزقه الله به، وكذا المسكين الفقير المحتاج، والمسافر الذي انقطع في سفره، بأن ذلك الإعطاء والبذل، والإحسان خيرٌ للذين يبتغون بعملهم وجه الله، ويريدون ثوابه، وأولئك هم الفائزون بالثواب الجزيل والدرجات العالية في الجنان، والناجون من عقاب الله".[٧٩] وبهذا يعرف أن لذي القربى، والمسكين، وابن السبيل حقوقاً ثابتة في أموال أغنياء المسلمين؛ يجب بذلها لهم، وأداؤها إليهم، وأن هذه الحقوق ليست تفضلاً منهم عليهم؛ بل هي فرض واجب الأداء والوفاء، أوجبها لهم من يملك الخلق والرزق، والثواب والعقاب".[٨٠]

ثانيا: أنه جعل لهم حقاً ونصيباً من الزكاة، وذلك بقوله تعالى: {**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**} [التوبة: ٦٠]، فالآية تقتضي حصر الصدقات في هذه الأصناف الثمانية فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم، وقدم الفقراء والمساكين لإظهار الاهتمام بهم، وأنهم أولى هذه الأصناف لدفع الزكاة لهم.

---

(٧٨) جمهرة اللغة (سكن) (٢/ ٨٥٦)، وإعراب ثلاثين سورة (ص: ٩٢، و٢٠٥،٢٠٦)، وتهذيب اللغة (سكن) (١٠/ ٤٠).

(٧٩) صفوة التفاسير (٢/ ٤٤٠)، والتفسير الميسر (١/ ٤٠٨)

(٨٠) أوضح التفاسير (١/ ٤٩٦).

ثالثا: أنه جعل لهم نصيبا من النفقة، كما في قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}** [البقرة: ٢١٥]، أي: يسألونك يا محمد ماذا ينفقون، وعلى من ينفقون؟ قل لهم ما أنفقتم من أموالكم وتصدقتم به، فاصرفوه وتصدقوا به في هذه الوجوه، وفي هؤلاء المذكورين، وكل معروف وإحسان تقدمونه إليهم يعلمه الله وسيثيبكم ويجزيكم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة.(٨١)

رابعا: أنه جعل لهم نصيبا من التركة، أو الوصية، إذا حضروا. وذلك في قوله تعالى: **{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}** [النساء: ٨]، أي: إذا حضر هؤلاء من غير الوارثين قسمة التركة بين الورثة، أو قسمة الموصي ماله بالوصية، فارضخوا لهم نصيباً، وقولوا لهم قولاً جميلاً، إذا كان لا يمكن أن يرضخ لهم منه، بأن تعتذروا إليهم، وتدعوا لهم بالخير.(٨٢)

خامسا: أنه جعل لهم نصيباً في الغنيمة. كما في قوله تعالى: **{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ}** الآية [الأنفال: ٤١]، فدلت الآية على أن هؤلاء، هم الذين لهم نصيب في خمس الغنيمة، وإليهم تصرف، ومنهم المساكين، أهل الحاجة، والفاقة من المسلمين.

سادسا: أنه حث على إطعامهم وكسوتهم، حيث جعل إطعامهم، وكسوتهم من كفارات اليمين، في قوله تعالى: **{فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}** [المائدة: ٨٩]، أي: كفارة يمينكم عند الحنث، أن تُطعموا عشرة مساكين من الطعام الوسط عندكم، أو تكسوهم الثوب، أو تعتقوا عبد مملوك لوجه الله، وجعله -أيضا- من كفارات الصيد في الحرم، حيث قال تعالى: **{أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا}** [المائدة: ٩٥]، أي: على المحرم إذا قتل جزاء مثل ما قتل من النعم، أو كفارة بإطعام مساكين، أو الصيام. وكما جعله من كفارات الظهار، فقال تعالى: **{فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}** [المجادلة: ٤]، أي: فمن لم يقدر على صيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار، فليطعم ستين مسكينا، ووصف به الأبرار، وأثنى عليهم بذلك، فقال: **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}** [الإنسان: ٨]، فجعل إطعام المسكين، ومن ذكر معه، من أوصاف عباد الله المؤمنين الفائزين بالجنات النعيم، وهذه وغيرها من النصوص الكثيرة التي فيها حض وحث على إطعام المساكين.

---

(٨١) جامع البيان (٤/ ٢٩١).

(٨٢) جامع البيان (٧/ ١٣)، والوجيز للواحدي (ص: ٢٥٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢١٩).

سابعا: حث على مراعاة شعورهم في دفع الصدقة إليهم، وإعطائهم إياها، حيث جعل الإسرار بالصدقة لهم، أفضل من إظهارها، كما في قوله تعالى مخبراً عن أفضلية إخفاء الصدقة عند دفعها إلى الفقراء: **{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** [البقرة: ٢٧١]، وفيه أن إعطاء الصدقة للفقراء في السر، خير للمتصدق من إعلانها؛ لأنه أبعد عن الرياء، وأحفظ لمشاعر الفقراء والمساكين، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، (٨٣) ويؤيده ما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: **"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله"**، وذكر منهم: "رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"(٨٤).

أي: أخفى الصدقة، وأسرها عند إخراجها، (لا تعلم شماله) كناية عن المبالغة في السر والإخفاء.

ثامنا: الحض على المبادرة في إعطائهم الصدقات، قبل السؤال، لا سيما المتعففون منهم، الذين لا يسألون الناس إلحافاً، فقال تعالى: **{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }** [البقرة: ٢٧٢، ٢٧٣]، فبعد أن حث الله تعالى في هذه الآيات على الصدقة، ورغب في الإنفاق في سبيل الله، وأمر بالإخلاص في ذلك، بين وأخبر أن هذه الصَّدقات والإنفاق التي تقدَّم ذكرها، والحث عليها، تكون للفقراء الموصوفين بالصفات المذكورة في الآية، منها التعفف، وعدم سؤال الناس إلحافاً، وإلحاحاً، أي: اجعلوا ما تنفقونه للفقراء الذين هذه صفاتهم. وقال تعالى -أيضا- في وصف المصلين المتقين، ومدحهم: **{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم}** [الذاريات: ١٩]، وقال: **{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}** [المعارج: ٢٤، ٢٥]، فبين أن من الصفات الحميدة، التي يتصف بها المتقون القائمون بطاعة الله وعبادته، الذين وعدهم الله بالنجاة من النار، والفوز بالجنان، أنهم جعلوا في أموالهم نصيباً وحقاً معيَّنا معلوماً، للمحتاج السائل، والمسكين المتعفف، الذي يتعفف عن السؤال، مع شدة فقره وحاجته. (٨٥)

وفي هذه الآيات وغيرها حض على تقديم الصدقة للفقراء والمساكين، كما أن فيها حث على مراعاة شعورهم في دفع الصدقة لهم؛ وذلك بعدم إظهارها وإعلانها، دون

(٨٣) جامع البيان (٥/ ٥٨٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٧٠١).

(٨٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣)، رقم (٦٦٠)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥)، رقم (١٠٣١).

(٨٥) صفوة التفاسير (٣/ ٢٣٤)، والتفسير الواضح (٣/ ٥٣٣)، والتفسير الميسر (١/ ٥٦٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ضرورة أو حاجة، وبعدم انتظار سؤالهم، وطلبهم، بل يبادر في دفعها لهم؛ صيانة لوجوههم من ذل السؤال، خصوصاً الذين لا يسألون الناس، لتعففهم.

تاسعا: الأمر بالإحسان إليهم عموما، كما في قوله تعالى: **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}** الآية [النساء: ٣٦، ٣٧]، فبعد أن أمر سبحانه في الآية بعبادته وحده لا شريك له، أمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين، والأقارب، واليتامى، والمساكين، وغيرهم، ممن ورد ذكرهم في الآية، وقدم هؤلاء للدلالة على عظم حقوقهم، وأنهم أولى أن تقدموا في الإحسان.

وأخبر في آية أخرى أنه أخذ عهدا مؤكداً من بني إسرائيل، للقيام بهذه الأمور المذكورة في الآية، فقال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}** [البقرة: ٨٣]. (٨٦)

وهذه بعض الآيات التي تبين اهتمام القرآن، وعنايته بأمر المساكين، والفقراء، وغيرهم من الضعفاء، مما يجعل المؤمن الصادق في إيمانه، يحمل همّ هؤلاء، ويدفع نفسه نحو إطعامهم، والإحسان إليهم، ويدعو غيره إلى هذه المكرمة، ويرغبه فيه، خلافا لذلك البخيل الشحيح، الذي لا يحرض غيره على هذه المكرمة، والخير العظيم، فضلاً أن يجد هو من نفسه دافعاً يدفعه إلى إليها من ذات يديه؛ لأنك لن تجد بخيلاً شحيحاً، أبداً يدعو إلى الإحسان؛ حتى لو نطق بها زوراً وبهتاناً، فضلاً أن يقوم به.

المطلب الثالث: آثار منع المساكين حقوقهم على الفرد والمجتمع.

وقد ذم القرآن الكريم هؤلاء الذين يبخلون، ويضنون بأموالهم عن سعاف المحتاجين، من المساكين، وغيرهم، فلا يقدمون لهم إحساناً ولا معروفاً، ولا ينفقون عليهم، سواء كان إنفاقاً واجبا، أو مستحب، بل ربما ينهون غيرهم عن ذلك-؛ لما يترتب على فعلهم ذلك، من خطورة وآثار السيئة على الأفراد والمجتمعات، منها ما يأتي:

أولاً: أن في هذه الخصلة، والصفة الذميمة، مشابهة للكافرين المتكبرين، البخلاء، الذين توعدهم الله بالنار، حيث قال تعالى: **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}** [النساء: ٣٦، ٣٧]، فدل هذا على أن منع الإحسان، والمعروف عن هؤلاء المذكورين - ومنهم: المساكين- ناتج عن خلق الكبر، والبخل والشح، وهما من شر الأخلاق، التي يتصف بها أهل الكفر، الذين يتكبرون، ويترفعون على المحتاجين والضعفاء، ويأنفون عنهم، ويرون أنهم خير منهم-،

(٨٦) ينظر: جامع البيان (١٠/ ٥٢٧-٥٢٨)، وصفوة التفاسير (١/ ٣٣٥).

ويجحدون ما آتهم الله من النعم، فلا يشكرون الله عليها، بإنفاقها في وجوه الخير، ومساعدة المحتاجين.

ثانيا: أن الشريعة الإسلامية أمر بحفظ الحقوق سواء كانت من حقوق الله، أو من حقوق العباد، وورد ذلك في نصوص كثيرة، فالذي لا يؤدي حقوق المحتاجين، من المساكين، والفقراء، فهو مخالف، وتارك لأمر الله تعالى، ومعرض عما حض الله وحث عليه من الإحسان وبذل المعروف لهؤلاء، كما أن صاحبه يفوت على نفسه الخيرات الكثيرة، والأجور العظيمة التي وعد الله تعالى بها لمن قام بحقوق الفقراء والمساكين، وبذل لهم الإحسان والمعروف، وقد تقدم كل هذا في الآيات المذكورة في الباب.

ثالثا: أن عدم القيام بالإنفاق على المساكين والفقراء، والمحتاجين في المجتمع، والإحسان، ومد يد العون إليهم، يكون سببا في زرع الكراهية، والبغضاء بين أبناء المجتمع؛ وسبباً في فقدان روح التعاون، والمساندة بينهم، فيفوِّت ذلك على المجتمع المنافع الكثيرة، والخيرات العظيمة التي يحققه القيام بحقوق المحتاجين، والإنفاق عليهم، من الحب، والود والرحمة، والتكاتف بين أفراد المجتمع، وكونهم كتلة واحدة، يشد بعضهم بعضاً، ويعطف غنيهم على فقيرهم، وكبيرهم على صغيرهم، ويتحسس كل واحد منهم بالحب والود لأخيه المسلم، ويتجه الجميع نحو البناء والتطور في المجتمع، فيحصل بذلك خير كثير، ونفع عظيم للمجتمع وأفراده، والله أعلم بالصواب.

المبحث الثالث: منع الناس الماعون

فإن من حقوق المسلمين بعضهم على بعض: التعاون والتكاتف، ومساعدة بعضهم بعضاً في حاجته؛ لذا فالمنبغى للمسلم أن يتعاون مع إخوانه في الخير، ويسعى في نفعهم، وسد حاجتهم، وبذل المعروف لهم، ومساعدتهم مما يحتاجون إليه من المنافع، كالعارية، وغيرها، خصوصا إذا كانت من الأشياء الخفيفة، التافهة، قليلة القيمة، ومثل هذه يعد منعها مذموماً شرعا وعرفاً، ومخلاً بالمروءة، ومن نهاية الدناءة، والركاكة، والبخل، فقد ذم الله تعالى المنافقين بهذه الصفة، وجعلها من ظواهر السلوكية الذميمة التي دفعهم إليها عدم إيمانهم، وتصديقهم بالحساب والجزاء، فقال:**{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}** [الماعون: ٧]، فذمهم؛ لأنهم يمنعون الناس المنافع اليسيرة، مما يتعاطاه الناس بينهم، ويستعان به على قضاء الحوائج، ولا تضر إعارته، والذي من شأنه ألا يمنع مما يتساهل الناس في طلبه، واستعماله.

المطلب الأول: مفهوم الماعون في الآية

المراد بالماعون – عند أكثر أهل العلم-، هو: كلما تعارف الناس على إعارته، وجرت العادة بذلك بين الناس، مما يحتاجه الناس، فيعطيه المرء لغيره، فينتفع به ثم يرده عليه، وينسب مانعه إلى سوء الخلق، ولؤم الطبيعة، كعارية الدلو، والقدر،

والحبل، والنار، والفأس، والدواب، والإناء، والملح، والإبرة، وأشباه ذلك من الأشياء التوافه، قليلة القيمة مما يتساهل الناس في طلبه واستعماله. [٨٧].

المطلب الثاني: حكم منع الماعون

قد اتفق أهل العلم على أن بذل الماعون فضيلة وقربة، ومن مكارم الأخلاق، ومحاسن الطاعات، وأفضل الصلات، وأن للمعير فيها ثوابًا جزيلًا؛ لأنها إباحة المالك لمنافع ملكه لمن له إليه حاجة.

واختلفوا هل هي واجبة، أم مستحبة، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن العارية، وبذل الماعون، وإن كان من مكارم الأخلاق، ومنعه يعد من الدناءة، وقلة المروءة، إلا أنه مستحب، وليس بواجب، فلا يحرم منعه، ولا يأثم تاركه، وذهب بعض أهل العلم إلى أن بذل العارية والماعون، واجب، فيحرم منعه، ويأثم تاركه مع غناه [٨٨] وهو اختيار ابن تيمية –رحمه الله-، حيث قال: "فأما إذا قدر أن قوما اضطروا إلى سكنى في بيت إنسان إذا لم يجدوا مكانا يأوون إليه إلا ذلك البيت فعليه أن يسكنهم، وكذلك لو احتاجوا إلى أن يعيرهم ثيابا يستدفئون بها من البرد؛ أو إلى آلات يطبخون بها؛ أو يبنون أو يسقون: يبذل هذا مجانا. وإذا احتاجوا إلى أن يعيرهم دلوا يستقون به؛ أو قدرا يطبخون فيها؛ أو فأسا يحفرون به، فهل عليه بذله بأجرة المثل لا بزيادة؟ فيه قولان للعلماء في مذهب أحمد وغيره، والصحيح وجوب بذل ذلك مجانا إذا كان صاحبها مستغنيا عن تلك المنفعة وعوضها؛ كما دل عليه الكتاب والسنة قال الله تعالى: **{ويمنعون الماعون}** [٨٩] ووجه الاستدلال من الآية، أن الله تعالى ذم مانعي العارية والماعون، وتوعدهم بالعذاب، وعد منع الماعون خصلة من خصال أهل الكفر، والنفاق، الذين لا يؤمنون بيوم الحساب والجزاء، فدل ذلك على وجوب بذلها على المالك الغني، وأنه يحرم عليه منعها، وزجر عن منعها والبخل بمثلها لحقارتها، وتفاهتها.

والأولى– والله أعلم -أن يقال تنقسم العارية إلى قسمين: عارية يأثم الإنسان بمنعها، فهذه يجب بذلها، ويحرم منعها، وذلك إذا استعيرت عن اضطرار، واحتياج شديد، فيجب في هذه الحالة الإعارة، ويكون منعها محظورا حراماً. ومثاله: إنسان جاءه رجل مضطر، وعطشان جداً، قال: أعطني الدلو، أو الإناء لأشرب، فإن لم أشرب مت، فبذل الإناء له، واجب يأثم بتركه الإنسان. وعارية: لا يأثم بمنعها لكن يفوته الخير، والثواب، وهذه لا يجب بذلها، ولا يحرم منعها، كأن يأتيه جاره يستعيره

---

(٨٧) جامع البيان (٢٤/ ٦٤٢)، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٣٠٥).

(٨٨) المغني لابن قدامة (٥/ ١٦٣)، والدرر البهية (٢/ ٤٨٥)، والإحكام شرح أصول الأحكام (٣/ ٢٩٢).

(٨٩) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٩٨)، والطرق الحكمية (ص: ٢١٨).

إبرة، أو فأساً، فيمنعه، وهذا يعتبر دناءة، ومخلاً للمروءة، ويفوت صاحبه خير، وثواب، ولكن لا يأثم به". [٩٠]

وقد يجب منع العارية، ويحرم بذلها، وذلك إذا أيقن المعير، وعلم أن المستعير يستخدمها في المعاصي، كأن يستعير منه سيفاً، أو فرسا؛ لقتال الأبرياء، أو يستعير منه مولد كهربائي (جنريتر)؛ لاستعماله في حلفة من الحفلات الغنائية؛ لتشغيل موسيقى، أو غيره، أو الحفلات البدعية، التي فيها منكرات، ومعاصي، ففي هذه الحالة لا يجوز له أن يعيره، بل يأثم ببذلها له؛ لأنه يعتبر معينا له على الإثم، والمعاصي، وإحياء البدع.

والواجب على المستعير المحافظة على العارية، والاعتناء بها، وردها بذاتها إلى صاحبها بعد انتهاء العرية كاملة، فلا ينقص منها شيئاً، ولا يستبدلها بغيرها، لقوله - صلَّى الله عليه وسلم: «**العاريَّةُ مؤدَّاةٌ، والمِنْحَةُ مردُودةٌ...**»، الحديث. [٩١]

المطلب الثاني: ما ورد في الحث على بذل الماعون

فبذل الماعون **والعارية** لمن يحتاج، فيه فضل كبير، وأجر عظيم، وهو مَظهر من مظاهر تعاون المجتمع، وتكافله واتحاده؛ وفيه سداد لحاجة المسلم، والجار والأخ، وترجع العارية إلى صاحبها دون نقص، مع أنه قد نفع أخاه المسلم في سد حاجته بها؛ وهي تبادل للمصالح والمنافع، والأملاك، فأنت اليوم معير، وغداً مستعير، وتعتبر تبرعاً من المعير، للمستعير؛ لأنه لا يأخذ شيئاً من المستعير في مقابل استعماله لهذا الشيء المعار؛ لذا قال بعض العلماء: "ومن الفضائل أن يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج إليه الجيران، فيعيرهم ذلك، ويتفضل عليهم، فيحصل على الثوب، والفضل، ولا يقتصر على الواجب، وقدر الضرورة". [٩٢]

وقد ردت نصوص كثيرة من الكتاب، والسنة تحض على العارية، وتحث عليها؛ لما فيها من قضاء حاجة المستعير؛ وتحقيق مبدأ التعاون بين المسلمين، من ترابط النفوس، وتآلف القلوب، وأعلى، وأغلى من ذلك كله نيل رضي الله تعالى، ومن تلك النصوص ما يأتي ما يأتي:

-**عموم النصوص التي تحض الناس على التعاون** على البر، والخير، والمعروف، كقوله تعالى: {**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**} [المائدة: ٢]، وفيه أمر بالتعاون والتضامن على فعل الخيرات، والبر، والعروف، وعلى كلْ ما يقرب إلى الله، ونهي عن التعاون على ما فيه إثم، ومعصية، وتجاوز

---

(٩٠) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٩).

(٩١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/ ٦٢٨)، رقم: (٢٢٢٩٤)، وأبو داود في سننه (٥/ ٤١٧)، رقم: (٣٥٦٥)، وابن ماجه في سننه (٣/ ٤٧٧)، رقم: (٢٣٩٨). وصحح، كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٥/ ٣٩٩)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٦٦-١٦٧).

(٩٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٣٠٥).

لحدود الله. (٩٣) وقوله -ﷺ-: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...**»، الحديث. (٩٤) فالعارية داخلة في عموم الآية والحديث؛ لدخولها في البر والمعروف، الذي ندب المسلم إلى بذله لأخيه، لما له فيه من الثواب الجزيل.

- ما ورد في السنة من فعل النبي -ﷺ-، وقوله.

أما الفعل: فإنه استعار فرساً من أبي طلحة -رضي الله عنه-، كما جاء في الصحيحين من حديث أَنَس – رضي الله عنه-، قال: "**كَانَ فَزَعٌ بِالْمَدِينَةِ، فَاسْتَعَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا مِنْ أَبِي طَلْحَةَ...** " الحديث (٩٥). واستعار أدْراعاً من أُميَّةَ بن صفوان، كما جاء في الحديث أن رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم -استعار منه أدْراعاً يَومَ حُنَيْنٍ، فقال: أغَصْبٌ يا محمد؟ **فَقَالَ: «لا، بل عاريَّةٌ مضمونَةٌ»**. (٩٦)

وأما القول: فإنه قد جاء في الصحيح أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما حق الإبل؟ قَالَ: «**حَلَبُهَا عَلَى الْمَاءِ، وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا، وَإِعَارَةُ فَحْلِهَا، وَمَنِيحَتُهَا وَحَمْلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ**». (٩٧)

- ما ورد من النصوص التي توجب على المستعير، باستعمال العارية في الغرض المعدة له، والمحافظة عليها، وردها إلى صاحبها، بعد انتهاء العارية، وقضاء حاجته منها، كحديث: «**العاريَّةُ مؤدَّاةٌ، والمِنْحَةُ مردُودةٌ...**»، وقد تقدم.

ففي مجموع ما تقدم من النصوص الحض على العارية، وترغيب المعير في بذلها، كما أن فيها إيجاب العناية بها على المستعير، والمحافظة عليها، وأدائها، وردها لصاحبها بعد قضاء حاجته منها، وأن منع من يؤتمن عليها، وينتفع بها ويردها، يعتبر خصلة ذميمة، وسلوك سيئ، وأما من يأخذها ويتهاون بها ولا يردها، أو أنه يجحدها، وينكرها فهذا سارق، فلا يعتبر منعه من العارية مذموماً. وقد ثبت عن عائشة، قالت: "**كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع، وتجحده، فأمر النبي ﷺ أن تقطع يدها...**"، الحديث. (٩٨)

المطلب الثالث: آثار منع الناس الماعون، على الفرد والمجتمع

فإن منع الناس بعضهم بعضا من الأشياء التي يستعيرونها فيما بينهم، له آثار سيئة على الفرد والمجتمع، منها:

(٩٣) جامع البيان (٩/ ٤٩٠)، وصفوة التفاسير (١/ ٣٠١).
(٩٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤)، رقم: (٢٦٩٩)
(٩٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٦٥)، رقم: (٢٦٢٧)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٣)، رقم: (٢٣٠٧)، واللفظ للبخاري.
(٩٦) أخرجه وأبو داود في سننه (٥/ ٤١٤)، برقم: (٣٥٦٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥١)، رقم: (٤٣٦٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، واللفظ لأبي داود. وصححه الألباني كما في إرواء الغليل (٥/ ٣٤٤)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).
(٩٧) صحيح مسلم (٢/ ٦٨٤)، برقم: (٩٨٨).
(٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣١٦)، برقم: (١٦٨٨).

-أن فيه مشابهة أهل الكفر، والنفاق الذين توعدهم الله بالعذاب والهلاك، كما في قوله في السورة: **{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}**[الماعون: ٤]، وقد وصفهم الله بهذه الخصلة، والسلوك الذميم، وتوعدهم عليها في مواضع أخرى من القرآن، كما في قوله تعالى: **{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا }** [النساء: ٣٧]، وقال تعالى: **{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}** [الحديد: ٢٤] وقوله تعالى: **{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ}** [القلم: ١٢]، انظر كيف ذم الله هؤلاء البخلاء، الذين يمنعون الخير، والمعروف، والبر، عن الناس، وكيف توعدهم بالهلاك والعذاب الشديد.

-أن صاحبه تارك لما حث الله عليه، ورسوله – ﷺ، وما يحبه الله، ورسوله، وفي ذلك خطر عظيم على المرء، وخسارة كبيرة، حيث يفوت على نفسه الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي رتبه الله على ذلك المحبوب.

-أن في منع الماعون والعارية، وعدم التعاون على البر والإحسان، والمعرف، مفاسد عظيمة للمجتمع، منها: أنه يفكك كيان المجتمع، ويقضي على ما أمر به الشارع الحكيم، وحث عليه، من الأخوة، والتكافل، والتكاتف والتعاون على البر والتقوى، ويكون سبباً في نزع الرحمة والود واللطف، والمحبة من قلوب أبناء المجتمع بعضهم لبعض، وزرع الكراهية، والعداوة والبغضاء والحسد، والحقد فيها، فيكثر التباغض، والتحاسد، والتدابر، والفتن، والظلم، والاعتداء في المجتمع، مما يضعف المجتمع المسلم ويهينه، ويجعله مضغة سائغة للأعداء، والمتربصين له، فيحصل بذلك ضرر، وفساد كبير للمجتمع، وأفراده، وقد نهى النبيّ - ﷺ – عن هذه الأمور، -وذلك نهي عن مسبباتها- فقال: «**لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره..**» [٩٩] وفي هذا أمر لأبناء المجتمع أن يتعاونوا، ويتكاتفوا ويساعد بعضهم بعضاً، وأن يكونوا كالجسد الواحد في الأخوة، والتكاتف، فلا يعرض بعضهم عن بعض، ويترك بعضهم بعضاً بلا مساعدة، ولا إعانة عند الحاجة، ولا يظلم، ويحتقر بعضهم بعضاً، والله أعلم.

الخاتمة:

يمكن أن أعرض أهم النتائج، التي وقفت عليها من خلال هذا البحث المصغر، وهي كالتالي:

-خطورة عدم الإيمان بيوم الحساب والجزاء، وأنه الدافع إلى كل شر، وفساد، وكل سلوك سيء، وما يضر بالأفراد والمجتمعات من الأخلاق المذمومة.

([٩٩]) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٩، و١٤٨)، رقم: (٦٠٦٥، و٦٧٢٤)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٦)، برقم: (٢٥٦٤).

-أن ظلم الضعفاء من اليتامى، وغيرهم، ودفعهم عن حقوقهم، والبخل عن الإنفاق على المحتاجين، من المساكين، وغيرهم، وبذل المعروف لهم، من أبرز صفات وسلوكيات أهل الكفر المكذبين بيوم الحساب والجزاء.
-أن السهو والغلفة عن عبادة الله تعالى، والتهاون بها، خصوصاً الصلاة، وكذا الرياء، وعدم الإخلاص لله تعالى في القول، والعمل، من أظهر صفات، وخصال أهل النفاق، الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، وأن الدافع لهم على ذلك، هو عدم إيمانهم بالحساب والجزاء.
-أن السهو عن الصلاة، والغفلة عنها، يكون بتأخيرها عن وقتها دائما أو غالبا، وعن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وعن الخشوع فيها، والتدبر لمعانيها، وأن لفظ الآية يشمل هذا كله، فمن اتصف بشيء منها، فهو داخل في الوعيد الذي ورد في الآية بقدر ما اتصف به.
-اهتمام القرآن بشأن الضعفاء والمحتاجين في المجتمع، وعنايته بأموره، وحضه للأفراد والمجتمعات على الاهتمام بهم، ورعاية شؤنهم، والقيام بحقوقهم، وعدم ظلمهم بمنعهم الحقوق التي أوجبها الله لهم.
-الحض على التكافل والتكاتف، والتعاون على الإحسان، والبر، والتقوى، بين المسلمين، وعدم منع بعضهم بعضاً الماعون، وما يحتاج إليه، من الأشياء التي يستخدمها ثم يردها له، ولا ينقص منه شيئا، ولا يضره بذلها، فنمع مثل هذه الأشياء مذموم، ومن صفات المنافقين، الذي لا يؤمنون بثواب الله، وعذابه.
-أن خطر هذه الخصال والسلوكيات عظيمة، وآثارها السيئة كبيرة جداً على الأفراد، والمجتمعات، لما يترتب على انتشارها في المجتمع من الفساد، والشرور، والآفات.

التوصيات:

من أهم التوصيات التي ظهرت لي من خلال هذا البحث ما يأتي:
-أن تركز الدراسات البحثية الموضعية على نصوص الكتاب والسنة؛ لاستخراج هداياتها ودلالتها من خلال التفاسير، وكتب التراث، وربطها بواقع الحياة.
-دراسة موضوعات سور القرآن، وتسليط الضوء عليها بشكل أدق وأعمق، من خلال نصوص الشريعة، وسير السلف، وأقوالهم، وربطها بالمنهج التربوي، والإصلاح في المجتمع.
-أن السلوكيات والخصال السيئة التي نفرت منها السورة، ونهت، من أهم العوامل في انتشار الفساد في المجتمع، وتأخرها في دينها، ودنياها، فينغي أن يُهتم بمحاربتها في المجتمع المسلم، نظرياً وتطبيقيا، وذلك من خلال البحوث، وإحياء شعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في المجتمع، وتنظيم محاضرات وندوات، ودورات تدريبية من أجل بيان خطر تلك السلوكيات، وآثارها السيئة على الأفراد، والمجتمعات، وتنفير الناس منها.

-إجراء المزيد من البحوث حول هذه السلوكيات، للتنفير منها، من خلال القرآن، والأحاديث النبوية، وأقوال سلف هذه الأمة، والمفسرين.
-تخصيص جمعيات ومؤسسات، في مجالات الإصلاح، لتوعية المجتمع في تجنب مثل هذه الخصال، والوقوف أمام انتشارها.
-أن القرآن الكريم ليس المقصود منه أن يتلوه الإنسان، ليتعبد لله تعالى بتلاوته فقط، بل المقصود الأعظم أن يتدبره، ويتأدب به، فيترك ما نهى عنه القرآن من الأخلاق الرديئة، والسلوكيات السيئة، ويتحلى بما دعا إليه من الخصال الحميدة، والصفات الجميلة.

وفي الختام: أقول هذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا البحث الصغير المتواضع، وهو محاولة أريد به الخير، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل، فما كان فيه من صواب وخير فمن توفيق الله وحده، وما كان من زلل فمني، ومن الشيطان، فأسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ويرزقه رضى وقبولاً، وأن ينفع به من قرأه، ووقف عليه، ويجعله حجة لي، لا علي، وأن يعفو عن زلاتي، وقيل عثراتي، إنه سبحانه وتعالى نعم المولى، ونعم النصير.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المراجع والمصادر

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني المصري، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.
٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م
٣. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ -١٩٤١م)
٤. الإحكام شرح أصول الأحكام، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ.
٥. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر –بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٦. التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر –تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
٧. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
٨. التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الثانية، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩ م
٩. التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد –بيروت، الطبعة: العاشرة -١٤١٣ هـ
١٠. التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش
١٢. الروضة الندية المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، التعليقات بقلم: العلامة المحدِّث الشيخ محمَّد نَاصِر الدّين الألبَاني، الناشر: دَارُ ابن القيِّم للنشر والتوزيع، الرياض، دَار ابن عفَّان للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
١٣. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ) يحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.

١٤. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ
١٥. الطرق الحكمية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة دار البيان.
١٦. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م
١٧. القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية محرم ١٤٢٤هـ
١٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزي، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ
١٩. المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.
٢٠. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ -١٩٩٠).
٢١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية -بيروت
٢٢. المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
٢٣. المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م
٢٤. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الناشر: دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيرو، الطبعة: الأولى -١٤١٢ هـ
٢٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الثانية،
٢٦. الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان -أبو ظبي -، الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م

٢٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى -محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية -بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٢٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: مجموعة من الدكاترة، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٤ م.
٣٠. أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ -فبراير ١٩٦٤ م
٣١. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية
٣٢. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م
٣٣. تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢م
٣٤. تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٣ هـ
٣٥. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض.
٣٦. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م
٣٧. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٣٨. حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، المؤلف: عبد الله بن صالح الفوزان، الناشر: مكتبة الرشد

٣٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٤٠. دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر، تَألِيف:عَبد القَاهِر بن عَبد الرّحمن الجرجَاني المتوفى (٤٧١ هـ)، دِرَاسَة وَتحقِيق، وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن.
٤١. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي –بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ
٤٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)
٤٣. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وأعوانه، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٤٤. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٤٥. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وشركائه، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥ م.
٤٦. شرح صحيح البخارى المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد –الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
٤٧. صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة -بيروت،
٤٨. صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م
٤٩. صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
٥٠. صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤ هـ -١٩٥٥ م.

٥١. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٥٢. صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٥٣. طرح التثريب في شرح التقريب المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين لعراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة -وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)
٥٤. طلبة الطلبة، المؤلف: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، تاريخ النشر: ١٣١١هـ
٥٥. غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني –بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧
٥٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة -بيروت،
٥٧. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
٥٨. في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق -بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر -١٤١٢ هـ.
٥٩. كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٦٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٦١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
٦٢. مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٦٣. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه –بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ.

٦٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث –القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٦٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت
٦٦. معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٧. معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب –بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٨. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٦٩. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧٠. منتخب من صحاح الجوهري، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)
٧١. موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.